الخوراسقف **يوسف فخري**
إختصاصيّ في
الكتاب المقدّس
واللغّات الكتابيّة القديمة

الإفخارستيّا بين الفصح اليهوديّ والفصح المسيحيّ
قراءةٌ تاريخيّة ولاهوتيّة

مقدّمة

سفر الخروج هو سفرُ العبادةِ بامتياز[1]! اسمه في اليونانيّة[2] Εξοδος (Exodos): "ألرحيل"، "الخروج"، "الإنطلاق" (من مصر). إنّه سفرُ مغامرةِ بني إسرائيل مع الله المحرّر. منذ عرّف موسى شعبَه بإلهِ العهدِ الذي وَحْدَهُ يستحّق العبادة، منذ ذلك الوقت، بدأ الشعبُ يتأمّل في هذا الإله الذي دخل التاريخ وركّزَ قواعِدَ "الحَدَثِ التأسيسِيّ" (أي الخروج والعهد في سيناء)، فصرخوا إليه، وسمع صراخهم، وأخرجهم بيد قويّة من أرض العبوديّة وأتى بهم إلى أرض الحرّيّة، فانتقلوا من عالم العبوديّة للبشر إلى عالم العبادة للإله الواحد الحقيقيّ. هذا الإله أراد أن يجمع أُناسًا متفرّقين فيؤلّف منهم شعبًا واحدًا، شعبَه المختار. قطع معهم عهدًا وسلّم إليهم رسالةً ووعَدَهُم بحضوره معهم عبرَ شخص موسى، أو من خلالِ الطقوس الدينيّة التي يحتفل الكهنةُ بها في معبدِه.

حَدَثُ الخروج ليس بغريبٍ عن زَمَنِنَا الحاضر، فوسائلُ الإعلام المحليّة والعالميّة، تُظهر لنا، كلّ يوم، قوافل النازحين الهاربين من الإرهاب الجائرَ والموت المحتّم! قوافلُ الشيوخ والنساء والرجال والأطفال تترك كلّ شيء وتتخلّى عن كلّ شيء وتَشُدُّ الرحيلَ نحو المجهول، طَلَبًا للحياةِ والحرّيّةِ وصَونًا للمعتقد والكرامة،

---

١ يرد في سفر الخروج كثيرًا الفعلان اللذان يعبّران عن العبادة والطقوس الدينيّة، وهما: عَبَدَ، עָבַד (خر ٣: ١٢)، يرد ٧٤ مرّة في سفر الخروج (حسب النصّ المسُوري)؛ وذَبَحَ، זָבַח (خر ٣: ١٨؛ ٥: ٣، ٨، ١٨)، يرد في سفر الخروج ٢٧ مرّة (حسب النصّ المسُوريّ).

٢ عبارة "الخروج"، Ο Εξοδος (O Exodos)" كلمة يونانيّة مؤلّفة من عنصرين هما: الأوّل، εξ، (ex)، أي: "خارج"، "au-dehors"، والثاني، οδος (odos)، أي: "الطريق"، la route. فالعبارة تعني إذًا: "le fait de faire route hors de...، "رحل، ذهب خارجًا، شدّ الطريق خارجًا...عَبَرَ". أمّا في اللغة العبريّة، فاسمُهُ שְׁמוֹת، شموتْ"، أي: أسماء، لأنّ سفر الخروج يبدأ بهاتين الكلمتين וְאֵלֶּה שְׁמוֹת، "وإلّهْ شموت"، ومعناها: "إليكَ أسماء" بَني إسرائيل.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 509 1/30/17 8:02 PM

حاملين معهم ما استطاعوا حمله من القوت والماء، مؤونةِ الغّم والأسى لمسيرتهم نحو أفقٍ غامضٍ! لا همّ عندهم سوى الإفلاَت السريع من شباكِ الموتِ والإبادة! هكذا كان رحيلُ قوافلِ شعبِ الله من مصرَ، الهاربة من الطغيان الفرعونيّ وثِقْلِ نيرِ العبوديّة، ملتمسة بوَلَهٍ أرضَ الحرّيّة وعبادةَ الله الحقّة! لكنّ مسيرتُهم لم تكن "فوضى بابليّة" أو "وثبةً في المجهول"، بل كانت مُدَبّرة ومُعَدّة بترتيب ومُنَسّقة، تتجهُ نحو هدفٍ معيّن بقيادةِ رَاعٍ عَلَم أداةِ الله في خلاصِ شعبه. وذكرى هذا الحَدَثِ التأسيسيّ: الفصح، العبورُ إلى أرضِ العبادةِ والحرّيّة[٣]، أصبح ذكرى النصرِ والإنتصار. من سنةٍ إلى أُخرى، وعلى مدى العصورِ والدهور، وجب على كلّ ربّ بيتٍ أن يشرحَ لأفرادِ عائلته هذا الحَدَثَ[٤]، لأنّ كلّ فردٍ من شعبِ الله معنيٌّ بالتحرير، كأنّه هو الذي حُرّر شخصيًّا! لقد تبنّى الشعبُ كلّه هذه الأحداث الخلاصيّة، وكأنّ كلُّ فرد منه وُلِدَ من رحمها، فيقول جهارًا في احتفالِ ليلةِ الفصح: "من جيلٍ إلى جيلٍ وَجَبَ على كلٍّ منّا أن يُظهِرَ نفسَه وكأنّه هو خرج من مصر...". فالنصر الّذي حقّقَه الله للأجداد والآباء، هو هو يحقّقه الله لكلّ الأجيال ولكلّ أبناء شعب الله على كَرّ الدهور. لذا، حَدَثُ الخروج هو حَدَثٌ "آنيّ"، Événement actuel pour toujours، وهو في قَلبِ الذاكرةِ الجماعيّة لشعب التوراة، وعيد الفصح يؤجّج هذه الحَدَثَ في ذاكرتِهم وكيانِهم كلّ سنةٍ ويأوّنه.

I – ميلادُ السِفْرِ وبنيته

لقد سَادَ الاعتقادُ قديمًا، ولفترة زمنيّةٍ طويلةٍ جدًّا، أنّ موسى هو الكاتبَ الأساسيُّ لسفرِ الخروج، لا بل لكلّ أسفارِ التوراة الخمسة[٥]، وظَلّ هذا الاعتقادُ سائدًا ردحًا كبيرًا من الزمن إلى أن جاء العَالِمُ Richard Simon (١٦٣٨–١٧٢٢) ونسف هذا المعتقد، بعد دراساتٍ نقديّة–تاريخيّة–أدبيّة وعلميّة معمّقة، فتبيّنَ له أنّ الكتبَ الخمسة (التوراة) مؤلّفة من طبقاتٍ أدبيّةٍ عِدّة متفاوِتَه بالتاريخ والمضمون، وهي

٣ خر ١٣: ٦، ٨، ١٠.

٤ خر ١٣: ٨.

٥ أسفار التوراة الخمسة (*Le Pentateuque*) هي: التكوين، الخروج، الأحبار (أو اللاويّين)، العدد، تثنية الإشتراع. قَسَمَ التقليد اليهوديّ العهد القديم إلى ثلاثة أقسام (ת נ ך، ت ن ك، كلمة تختصر الأحرف الأولى من الأسماء العبريّة): التوراة (הַתּוֹרָה)، الأنبياء (הַנְּבִיאִים)، والكتب الحكميّة (הַכְּתוּבִים). أمّا التقليد الكنسيّ فقسمه إلى أربعة أقسام: التوراة، الأسفار التاريخيّة، الأسفار الحكميّة، والأسفار النبويّة.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 510 1/30/17 8:02 PM

حصيلةُ عملٍ أدبيّ طويلٍ ومُعَقّد. ومنذ بدء القرن الماضي وحتّى السنوات الأخيرة، صار هناك شبهُ إجماعٍ حول "نظريّةِ التقاليد الأربعة": اليهوهيّ، الإلوهيميّ، الإشتراعيّ، والكهنوتيّ، التي يتألّف منها سفر الخروج وباقي الأسفار التوراتيّة. تحدّث عن هذا الموضوع الأب Claude Wiener[٦]، ثمّ تبعه فيما بعد الأب Jacques Briend[٧].

ولكي نَلِجَ إلى عمقِ أعماقِ سفرِ الخروج وإدرَاكِ معانيهِ ومفاهيمِه البيبليّة واللاهوتيّة، لا بدّ من إيجاد تصميمٍ عامٍّ له يُسَهّل لنا تلك المهّمة. هناك اقتراحٌ أوّل لتصميمٍ على أساس البُعد الجغرافيّ:

– إسرائيل في مصر (خر ١ – ١٣: ١٦).

– من مصر إلى سيناء (خر ١٣: ١٧ – ١٨: ٢٧).

– في سيناء (خر ١٩ – ٤٠).

وهناك تصميمٌ ثانٍ لسفر الخروج[٨] على أساسِ وحَدَاتٍ أدبيّةٍ تتمحور حول مواضيع رئيسيّة ثلاث: التحرير، العهد، العبادة. هذا التصميم يُظهرُ لنا بوضوح أنّ غايةَ التحريرِ من عبوديّة مصر هي إقامةُ العهدِ في سيناء بين الله وشعبِه، وعبادتِه كإلهٍ حقيقيٍّ أوحَد ومحرّرٍ. وإليك التصميم:

تصميم سفر الخروج

أ – إعلان التحرير (١: ١ – ٦: ٢٧)
إضطهاد العبرانيّين في مصر – نشأة موسى.

٦ الأب كلود فينّر (Claude WIENER)، يهوديّ الأصل، قَبِلَ يسوع المسيح في حياته، ثمّ أصبح كاهنًا في أبرشيّة باريس – فرنسا. وهو الآن مدرّس الكتاب المقدّس في المعهد الكاثوليكيّ في باريس (Institut Catholique de Paris). أصدر كتابًا في هذا المجال:

Exode de Moïse, chemin d'aujourd'hui, Paris, 1968.

٧ الأب جاك بريّان (Jacques BRIEND) مدّرس الكتاب المقدّس والأركيولوجيا فيالمعهد الكاثوليكيّ في باريس. أصدر كتابًا في هذا المجال: التوراة

Le Pentateuque, Cahiers Évangile, 15, Paris 1976.

٨ هذه دراسة معمّقة وعلميّة قام بها الأب كلود فينّر (Claude WIENER)، المذكور سابقًا.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 511 1/30/17 8:02 PM

ب – تأخير التحرير (٦: ٢٨–١١)
ضربات مصر – رَفْضُ فرعون لإِطْلاَقِ الشعبِ.

ج – تحقيق التحرير (١٢ – ١٦)
– الضربة العاشرة والأخيرة: موت أبكار المصريّين.
– ١٢ – ١٣: أحكام في الفصح والفطير والأبكار.
– الرحيل: معجزة عبور البحر.

د – العهد في سيناء (١٧: ١ – ٢٤: ١١)
– أللقاء الكبير مع الله.
– الوصايا العشر: ٢٠: ١–.
– قانون العهد: ٢٠: ٢٢ – ٢٣: ٣٣.
– عَقْدُ العَهدِ.

أ′ – إعلان العبادة (٢٤: ١٢–٣١)
تصميم المعبد المُوحى إلى موسى.

ب′ – تأخير العبادة (٣٢ – ٣٤)
حادثة العجل الذهبيّ؛ المصالحة.
القانون الطقسيّ: ٣٤: ١٤ – ٢٦

ج′ – تحقيق العبادة (٣٥ – ٤٠)
إنشاء المعبد بكل غَيرة وإيمان وتكريسه بحضور إلهيّ.

يُظهِر لنا هذا التصميمُ الجَليُّ أنّ "العهدَ في سيناء"[٩] هو بمثابة "حجرِ العَقْدِ" الذي يجمع بين الحنيَّتَيْنِ ويَحبُكُهما حَبْكًا مُحكمًا! إنّه نقطة ارتكازٍ وتحوُّل جذريٍّ في

٩ خر ١٧: ١ – ٢٤: ١١.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 512 1/30/17 8:02 PM

سياقِ كلّ نصّ سفر الخروج، لأنّه يَقلِبُ كلّ المعادلات رأسًا على عَقِب! والذي يجمع بين حنيّتي السفر هو "العمل"، إنّما مع فرق سَحِيق وشاسع لمَن يُعمَل له! فقَبلَ "العهد"، كان شعبُ الله المُضْطَهَد يعمل باستعبَادٍ وسُخرِيةٍ "للإله المزيّف" الغريب: فرعون مصر! أمّا بعد "العهد"، فالشعب المحرّرُ والناعمُ بالحرّيّة، أصبح يعمل "للإلهِ الواحدِ الحقيقيّ" الذي خلّصَه من العبوديّة الفرعونيّة وأتى به إلى أرض الحرّيّة والعبادة، وهو حاضرٌ أبدًا بينهم.

٢ – شرح نقاط التصميم

أ – إعلان التحرير (١: ١ – ٦: ٢٧): يتحدّث هذا القسمُ الأوّل عن الشخصيّات والخطوطِ العريضة للمشروع الإلهيّ الذي سوف يتَحَقّق في ما بعد. وضع الكاتبُ الكهنوتيُّ الصيغةَ النهائيّةَ لهذا القسم، بعد أن استعان بعدّة مصادر أدبيّة مختلفة ونسّق في ما بينها، فجاءت النصوص الكهنوتيّة على الشكل الآتي:

– مقدّمة السفر (١: ١–٤، ٥ب–٧).
– حديث عن القهر والاضطهاد (١: ١٣–١٤).
– الشعب يصرخ إلى الله، والله يسمع أنينَه (٢: ٢٣ب–٢٥).
– خبر دعوة موسى، يتبعه نسبُ موسى وهارون (٦: ٢–٢٧).

أمّا باقي الآيات فهي متمحورة حولَ نواة يهوهيّة[١٠]، ومكوّنة من مراجع عدّة مختلفة، مع بعض الزيادات التي تراكمت عبر العصور. إذا نظرنا إلى هذا المقطع بكامله، نرى أنّه يرتكز على ثلاث نقاط أساسيّة، وهي:

١٠ هذه هي النواة اليهوهيّة، حسب الأب Erich Zenger، هوذا النصُّ: "٦ ١ ماتَ يُوسُفُ وجَميعُ إِخوَتِه وسائرُ ذلك الجيل. ٨ وقامَ مَلِكٌ جَديدٌ على مصرَ لم يَعرِفْ يُوسُف. ٩ فقالَ لشَعْبِه: "ها إِنّ شَعْبَ بَني إِسرائيلَ أَكثرُ وأَعظَمُ منّا. ١٠ ... فيَكونَ أَنّهم، إِذا وَقَعَت حَرْبٌ، يَنضَمُّونَ إِلى أَعدائنا ويُحارِبونَنا ويَصعَدونَ من هذه الأَرض". ١١ فأَقاموا عَلَيهِم وُكَلاءَ تَسْخير لكَي يُذِلّوهم بأَثْقالِهم. ٣ ٧ فتراءى الربّ لموسى قائلاً له: "إِنّي قد رَأَيتُ مَذَلّةَ شَعْبي الّذي بمِصْر، وسَمِعتُ صُراخَه بسَبَبِ مُسَخّريه، وعَلِمتُ بآلامه، ٨ فنزَلتُ لأُنقِذَه من أَيدي المصريّين وأُصعِدَه من هذه الأَرضِ ١٦ إِذهَبْ وأجمَعْ شُيوخَ إِسرائيل وقُلْ لَهم: "الرّبُّ إِلهُ آبائكم تراءَى لي–إِلهُ إِبْراهيمَ وإِسحقَ ويَعْقوب– وقال: إِنّي قد افتَقَدتُكم ورأَيتُ ما صُنِعَ بكم في مصر. فذهب موسى وجمع شيوخ بني إسرائيل. وفهموا أن الربّ تدّخل لصالح بني اسرائيل وأنه رأى مزلتهم. ١٨ فذهب موسى وقال لفرعون: "هكذا يقول الربّ إله إسرائيل: دَعْنا الآنَ نَسيرُ مَسيرَةَ ثَلاثَةِ الأَيام في البَرّيّة ونَذْبَحُ للربّ إلهنا، خوفاً من أن يأتي إلينا بالوباء والسيف". فقال له ملك مصر: "لماذا يا موسى تريد صرفَ الشّعب عن أعماله؟ إذهبوا إلى عمل السخرية!".

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 513 1/30/17 8:02 PM

– إطارٌ مؤلّفٌ من لائحتين أساسيتين (١: ١–٧ و٦: ١٣–٢٧).
– جدولٌ ببؤسِ بني إسرائيل (١: ٨–٢٢).
– روايةٌ طويلةٌ عن موسى (٢: ١–٦: ١٢).

a) **الإطار (١: ١–٧ و٦: ١٣–٢٧)**: اللائحتان تتناغمان مع بعضهما البعض:

– في البداية، "أتى بنو إسرائيل إلى مصر"؛ في النهاية "طلب بنو إسرائيل من فرعون أن يخرجوا من مصر".
– في البداية، نرى أبناءَ يعقوب الإثني عشر، بَدءًا برأوبين، شمعون، ولاويّ؛ في النهاية، نرى فقط هؤلاء الثلاثة، ثمّ حديث عن موسى وهارون وآخرين، نجدهم في سفر العدد.
– في البداية، فيضُ البركة الإلهيّة مع تكاثر لبني إسرائيل، مع استعمال لأفعال من رواية الخلق (تك ١: ٢٨: "أثمر"، "كَثُرَ"، "ملأ الأرض")؛ في النهاية، عمل إلهي مركّز على رسالة موسى وهارون، حيث أنّ اسمهما يحيطان بالإطار (٦: ٣ و٦: ٢٦–٢٧).
– نلاحظ أنّ هناك حركة تصاعديّة حيويّة بين البداية والنهاية.

b) **جدولٌ ببؤسِ بني إسرائيل (١: ٨–٢٢)**: على نقيضِ الصورة المشرقة التي شاهدناها في ١: ١–٧)، تَظهرُ الآن صورةٌ معاكسةٌ، صورةُ العدوّ: فرعون (١: ٨–٢٢)، الذي أعلن حربًا بلا هوادة ضدّ بني إسرائيل، لم تنتهِ ضراوتُها حتّى غَرَقِ جيشِه في البحر[١١]. ويتَمّمُ عملَهُ على مرحلتين:

+ أوّلاً، في عمل السخرة، وهو وسيلة استعملها فرعون ليضع حدًّا لتكاثر بني إسرائيل، ظنًّا منه أنّ الرجال تبقى في تعبٍ مستمرٍ وتبتعد عن الزوجات.

+ ثانيًا، وهو عمل إجرام: إبادة الأطفال الذكور منذ ولادتهم (فإن بقي الأطفال الإناث، فلا خوف على ذلك إطلاقًا، لأنّ لا أمل لهُنّ بتأسيس عائلات يهوديّة). ألقابلات الإسرائيليّات لم يلتَزِمْنَ بقرارِ فرعون، أمّا المصريّون فالتزموا[١٢]. ورغم

١١ ١٤: ٢٨؛ ١٥: ١٩. حسب ٢: ٢٣، فرعون بحرِ الأحمر هو غير فرعون الذي أعلن حرب الإبادة على بني إسرائيل. لكنّ الملكين المتعاقبين لعبا الدور ذاته في إبادة الشعب.
١٢ خر ١: ٢٢: "فأَمَرَ فِرعَونُ كُلّ شَعبه قائلاً: "كُلُّ ابنٍ يُولَدُ لَهم فاَطرَحوه في النّيل، وكُلُّ ابنَةٍ فاستَبْقوها".

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 514 1/30/17 8:02 PM

حملةِ الإبادةِ هذه، كان شعبُ الله يكثر وبكبر[١٣].

c) **موسى (٢: ١ – ٦: ١٢)**: يبدأ مع الفصل الثاني تاريخ خلاص إسرائيل المتمحور حول شخصيّة ساميَة تطغي بوهجِها، ليس على سفرِ الخروج فحسب، بل على كلّ أسفار التوراة التي تنتهي برواية وفاة موسى[١٤]. سنرى حركة هذا المقطع الذي يبرز لنا نشاط هذه الشخصيّة الكبيرة:

أ – في مصر (٢: ١– ١٥ أ)	أ ′ – في مصر (٤: ٢٧– ٦: ١٢)
ب – في مدين (٢: ١٥ب– ٢٣)	ب ′ – العودة إلى مدين وإنطلاقة جديدة (٢: ٢٣ – ٤: ١٧)

ج – في حوريب
(٢: ٢٣–٤: ١٧)

يبدو من خلال هذا الجدول، أنّ مصر، بالنسبة إلى موسى، هي أرض الصراعات والنزاعات، إنْ في أيّام طفولته وإنْ في أيّام شبابه. أمّا مِدْيَن، فبعكس ذلك، هي أرض السلام، والضيافة والحياة الهنيئة للعائلة. جبل حوريب هو مكان اللقاء مع الله والانطلاق في الرسالة. سأتوقّف عند هذا اللقاء يهوه – موسى في جبل حوريب:

أللقاء في جبل حوريب (٢: ٢٣ – ٤: ١٧): يشكل هذا المقطعُ نقطةً أساسيّةً في كلّ صفحاتِ الكتاب المقدّس بسبب أهمّيّته السوتريولوجيّة واللاهوتيّة، إن من جهة التيوفانيا أو من جهة الكشف عن الاسم الإلهيّ وجوهرِه. ويمكن تقسيمُه إلى ثلاثة مراحل:

١) **التمهيد للقاء (٢: ٢٣–٢٥)**: يبدو أنّ موت فرعون (الذي يسبق ٤: ١٩)، لم يغيّر شيئًا! لكنّ العُنصُر الجديد هو أنّ الربّ رأى مذلّة شعبه وسمع صراخه.

١٣ خر ١: ٢٠: "وأَحسَنَ اللهُ إلى القابلَتَين وكَثُرَ الشّعبُ وعَظُمَ جدًّا".
١٤ تث ٣٤.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 515 1/30/17 8:02 PM

٢) **عُنصُر الرواية: العليقة الملتهبة (٣: ١–٣)**: مسيرة موسى مع قطيعِهِ تصلُ به إلى جبلِ حوريب" جبلِ الربّ"؛ نسأل: هل كان الجبل مكانًا مقدّسًا قبل اللقاء أم أنّه تقدّس بالظهور الإلَهيّ بعد لقاء يهوه–موسى؟ في كلّ الأحوال، حَدَثُ العليقةِ الملتهبةِ غنيٌّ برموزِ النار: المنيرة، الضروريّة للحياة، البعيدة المنال، المدمّرة... لكنّها هنا غير مدمّرة، إنّما تدعونا إلى التأمُّل بأسرارها ومعانيها ورموزها المَافَوقَ الطبيعةِ.

٣) **لقاء يهوه–موسى (٣: ٤ – ٤: ١٧)**: يظهر الحَدَثَ كسلسلةِ حوارٍ ومونولوجيا؛ أمّا موسى فيبدو كمُحاورٍ ماهرٍ، تاركًا الأولويّة في ذلك إلى الربّ يهوه، كما يظهر في الجدول:

أ – حوار وحركات (٣: ٤–٦)

ب – مونولوجيا ليهوه (٣: ٧–١٠)

أ ′ – حوار (٣: ١١–١٣)

ب ′ – مونولوجيا ليهوه (٣: ١٤–٢٢)

أ ′ ′ – حوار وحركات (٤: ١–١٧)

أ – حوار وحركات (٣: ٤–٦): دعوةٌ، جوابٌ، حركاتُ احترام، واحدةٌ يطلبها يهوه: (النعلين)، والأخرى عفويّة: (الوجهُ المستتر)، هكذا نرى مُوسى من رأسه حتّى قدميه واقفًا في حضرة الله.

ب – مونولوجيا ليهوه (٣: ٧–١٠): الإعلان الأوّل ليهوه بخصوص شقاء بني إسرائيل: "رأيتُ، سَمعتُ، عَرفتُ، نَزلتُ، أُرسلكَ". لقد رأى الربّ مذلّة شعبِهِ، الآن بَدءأ عملُ الخلاص الذي يبدأ بإرسالِ موسى: "إذهب!". مقابل أرض العبوديّة هناك أرض العبادة والبَركات والحرّيّة.

أ ′ – حوار (٣: ١١–١٣): يطرح موسى موضوعين يتكرّران دائمًا في الكتاب المقدّس (أش ٦: ٥؛ إر ١: ٦؛ قض ٦: ١٥): "لا أستطيع!" و"لا أعرف اسمَ الرجل الذي تُرسلني إليه!".

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 516 1/30/17 8:02 PM

ب ′ – مونولوجيا ليهوه (٣: ١٤–٢٢): في الواقع، يهوه يُجِيبُ موسى، يفصح عن اسمه ويعلن له عمّا ما سيحصل في المستقبل، ولكن على موسى أن يذهب ويجمع شيوخ الشعب، ويذهب جميعهم إلى فرعون.

يكشف الله عن سمه أنّه "يهوه"، وأنّ اسمه هذا ليس لإله جديد، بل لإله معروف هو "إله الآباء"، إبراهيم واسحق ويعقوب (خر ٢: ٢٤). وما يميّز هذا الاسم هو عبارة "أنا هو الذي هو"، אֶהְיֶה אֲשֶׁר אֶהְיֶה، (خر ٣: ١٤)، أي "أنا الكائن": أنا أمس واليوم وغدًا! أنا سيّد الزمان والتاريخ!

أ′′ – حوار وحركات (٤: ١–١٧): قال موسى للربّ: "لا يصدّقونني" (٤: ١–٩)، فمنح الربّ موسى قوّة لاجتراح ثلاث معجزات: العصا التي تتحوّل إلى حيّة (آ ٢–٥)، البَرَصَ الذي يظهر ويختفي عن اليد (آ ٦–٨)، الماء الذي يتحوّل إلى دم (آ ٩)، وبعد كلّ معجزة، يرد الفعل "آمن"، אָמֵן، فيظهر موسى كمجترح المعجزات التي تهدف إلى تأكيد صدق رسالته والإيمان بإلهِه الحقّ.

ب – تأخير التحرير (٦: ٢٨–١١): يتضّمن هذا المقطع أخبار ضربات مصر التسع الأولى. وفي النهاية، تُعلَنُ الضربةُ العاشرة الأخيرة:

١) الخطاب الأوّليّ ليهوه (٦: ٢٨ – ٧: ٧): يُكرّر ما قيل في ٤: ١٩–٢٣: الطلب من فرعون إطلاق الشعب، رَفْضُ فرعون للطلب، سلسلة معجزات تقود إلى الخروج من مصر. وكما في ٤: ١٤، يُعيّن هارون مساعدًا لموسى[١٥].

٢) المعجزة الأولى (٧: ٨–١٣): يحدث مشهد مدهش أمام فرعون: عصى هارون تتحّول، لا إلى حيّة، بل إلى ثعبان، وهكذا حدث مع سحرة مصر، لكنّ ثعبان هارون قضى على ثعابينهم. رغم ذلك، لم يلنْ قلبُ فرعون.

٣) الضربات التسع (٧: ١٤ – ١٠: ٢٩): بسبب تصّلُب قلب فرعون، تُضرب مصر بضربات عدّة متتالية: الماء يَنقَلِبُ دمًا، الضفادع، البعوض، الذباب، موت المواشي، القروح، البَرَد، الجراد، الظلام. رغم هذه الضربات، لم يلنْ قلبُ فرعون.

١٥ "وهو الّذي يُخاطبُ الشّعبَ عنكَ ويَكونُ لَكَ فمًا، وأَنتَ تَكونُ لَه إلهًا" (خر٤: ١٦) و"فَقَال الرّبُّ لِمُوسَى: أَنْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكونُ نَبِيّكَ" (خر٧: ١).

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 517 1/30/17 8:02 PM

٤) المشهد الأخير، الضربة العاشرة: موت أبكار مصر (١١: ١–٨): عاند الفرعون، رغم الضربات التسع، فبقيت الضربة الأخيرة والقاضية: قتلُ كلّ أبكارِ مصر، بمن فيهم بكر فرعون. السلالة الملكيّة تُهدّد حين يُقتل بكرُ الملك؛ فالفرعون الذي رفض أن يُطلق الشعب، ها هو الآن، بعد الضربة العاشرة، يُطلق ويطرد بني إسرائيل من مصر. ذاك هو عمل قدرة الله.

ج – تحقيق التحرير (١٢ – ١٦): يخبرنا هذا المقطع الثالث عن الحَدَثِ الحاسم: الخروج من مصر الذي بلغ ذروته في اجتياز البحر الأحمر، ووصوله إلى نقطة اللارجوع، كما يكشف لنا عن فشل كلّ مخططات فرعون في استعباد بني إسرائيل؛ هذا ما يخبرنا به خر ١٤، ونشيد النصر (خر ١٥)؛ فكلّ النصوص الواردة في هذا المقطع، تتضّمن: حدث الخروج والانطلاق، المسيرة في الصحراء، وبدء التحضير للاحتفالات الطقسيّة التي تُحيي ذكرى التحرير والفصح. وينقسم المقطع إلى ثلاث نقاط:

i . الخروج من مصر والاحتفال بالفصح (١٢–١٣).

ii . عظمة اجتياز بحر الأحمر (١٤: ١ – ١٥: ٢١).

iii . بداية الحياة في الصحراء ويوم السبت (١٥: ٢٢ – ١٦: ٣٦).

د – العهد في سيناء (١٧: ١ – ٢٤: ١١): هنا نصل إلى قلب سفر الخروج: العهد في سيناء! كما نصل إلى أعلى قِمَمِه، ألا وهي "التيوفانيا": التجّلي الإلهيّ على الجبل! لقد سبق هذا الحدث ثلاثة مقاطع متباينة ومتفاوته، أمّا بعده، فيأتي مقطعان تشريعيّان: ألوصايا العشر و"قانون العهد".

ألوصايا العشر: قبل أن يعقد الربّ عهده مع شعبه بشكل احتفاليّ، أعلن الدستور الأساسيّ (٢٠: ١–٢٠)، والمبادئ التي تسوس العلاقات مع الله ومع القريب. هذه المبادئ ما جاء المسيح ليلغيها، بل ليكمّلها في عظة الجبل والشريعة الجديدة (مت ٥: ١–١٢ و١٧) التي هي نداء إلى البشريّة كلّها، لا إلى شعب من الشعوب وحسب. وهكذا تكتمل الثمرة في الزهرة، كما قال أحد الآباء.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 518 1/30/17 8:02 PM

عَقْدُ العَهدِ (٢٤: ١–٨): الاتفاق بين الله وشعبه، شأنه شأن العهد مع إبراهيم (تك ١٥)، يُختَم بدم الذبائح (الذي يرمز إلى الحياة) الذي يجعل الشعب يتّحد بالربّ (يرمز إليه المذبح والوليمة). دعا الربّ فالتزم الشعب. ودخل إعلان العهد كلّه (ف ١٩) في تجلي الحضور الإلهيّ للشعب ولممثّليه. نجد في هذا المقطع أكثر من تقليد. في "اليهوهيّ" اختُتم العهد بوليمة (١–٢، ٩–١١). في "الإلوهيميّ"، بعد طقس الدم (آ ٣–٨)[١٦]،صعد موسى ويشوع إلى الجبل (آ ١٣) ولبث موسى هناك أربعين يومًا وأربعين ليلة، و لم ينزل إلاّ حين جحد الشعب إيمانه (ف ٣٢). في "الكهنوتيّ" شكّلت آ ١٥ب–١٨أ رباطًا بين ١٩: ٦ (مملكة كهنة) و٢٥–٣١، ٣٥–٤٠ (تنظيم المعبد والكهنوت). وغطّى السحاب والمجد الجبل قبل أن يملأَ المعبد (٤٠: ٣٤–٣٥). في آ ١–١١، قدّم النصّ خبرين أعيدت صياغتهما: تضمّن الخبر اليهوهيّ رؤية الله لدى ممثّلي الشعب، واختُتم على الجبل في وليمة مقدّسة، حسب الإلوهيميّ، خُتم العهد بطقس الدم بحضور كلّ الشعب، عند سفح الجبل (آ ٣–٨). وفي آ ١٢–١٨، صعد موسى إلى الجبل.

أ′ – **إعلان العبادة (٢٤: ١٢–٣١)**: مع القسم الخامس هذا، تبدأ كلُّ التحضيرات والمستلزمات لتحقيق الهدفِ الرئيسيّ لسفر الخروج، أَلاَ وهو: العبادة! نرى الله يأمر موسى ببناءِ مسكنٍ مقدّسٍ ويرسم له شكله ويوصيه بوضع الآنية والأثاث فيه؛ ولقد جاءت الترتيبات على الشكل الآتي: مواصفات خيمة اللقاء (خر ٢٥–٢٧)، ثياب الكهنة (خر ٢٨)، طقس تكريس هارون والكهنة (خر ٢٩)، بقيّة مواصفات الخيمة مع مواصفات البخور وزيت المسحة (خر ٣٠)، ثمّ يُعطي الله موهبةَ لبصلئيل للعمل، وأخيرًا شريعةَ السبت (خر ٣١). كلُّ هذه الترتيبات ترسم بشكلٍ رمزيٍّ اللقاء بين الله وشعبه. أمّا قلبُ الاحتفال فهو تابوت العهد الذي هو عرشُ الله وحامل شهادته (لوحَا الوصايا)، هو علامة حضور الله بين شعبه.

١٦ خر ٢٤: ٣–٨: "فجاءَ موسى وقَصّ على الشّعبِ جَميعَ أَقْوالِ الرّبّ وجَميعَ الأَحْكام. فأَجابَه الشّعْبُ كُلُّه بِصَوتٍ واحد وقال: "كُلُّ ما تَكلّمَ بِه الرّبُّ نَعمَلُ بِه". فكَتَبَ موسى جَميعَ كَلامِ الرّبّ، وبَكَرَ في الصّباحِ وَبنى مَذبَحًا في أَسفَلِ الجَبَل، واثنَي عَشَرَ نُصُبًا لأَسباطِ إسرائيلَ الاثنَي عَشَر. وأَرسَلَ شُبّانَ بَني إسرائيل فأَصعَدوا مُحرَقاتٍ وذَبَحوا ذَبائحَ سَلامِيّةً مِنَ العُجولِ للرّبّ. فأَخَذَ موسى نِصْفَ الدّمِ وجَعَلَه في طُسوتٍ ورَشّ النّصفَ الآخَرَ على المَذبَح. وأَخَذَ كِتابَ العَهْدِ فتَلا على مَسامِعِ الشّعْبِ فقال: "كُلُّ ما تَكَلّمَ الرّبُّ به نَفعَلُه ونَسمَعُه". فأَخَذَ موسى الدّمَ ورَشّه على الشّعبِ وقالَ: "هُوَذا دَمُ العَهدِ الّذي قَطَعَه الرّبُّ معَكم على جَميعِ هذه الأَقْوال".

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 519 1/30/17 8:02 PM

ب′ – تأخير العبادة (٣٢ – ٣٤): إنّ مشروع بناء الخباء قد توقّف فجأَة، وذلك بسبب أحداث متكرّرة: حين كان يتلقّى موسى التعليمات من الله على الجبل، كان الشعب في السفح يَتَمرّد على إلهِهِ! في مصر، كان سبب تأخير التحرير هو فرعون عدّو بني إسرائيل، أمّا هنا، فسببُ تأخير العبادة لله فهو الشعب. يمكن تقسيم هذا المقطع إلى أربعة أقسام:

a) تمرُّد إسرائيل على الله بعبادتهم للعجل الذهبيّ (٣٢).

b) الحوار بين الله وموسى (٣٣: ١ – ٣٤: ٩).

c) تجديد العهد (٣٤: ١٠–٢٨).

d) مجد الربّ يتألّق على وجه موسى (٣٤: ٢٩–٣٥).

ما اعتاد بنو إسرائيل بعدُ على نظرة إيمانيّة إلى الله ترفض كلّ صورة أو تمثال، فأشار إلى حضور الله بشكل عجل. كان العقابُ كبيرًا، ولكنّ المعنى الروحيّ يبيّن أن عبادة الأصنام لا يمكن إلاّ أن تقود إلى الموت. قرأ الكاتب هذا الحدث على ضوء كلام الأنبياء[١٧] الذين حاربوا عجل معبد دان وعجل معبد بيت إيل اللذين صنعهما يربعام الأوّل[١٨]. نقض الشعبُ العهد، فحَلّ عليه غضبُ الله (آ ١٠). ولكن صّلى موسى (آ ١١–١٣، ٣١–٣٢) وتاب الشعب كلُّه (آ ٣٣). لذا، بسبب تَقَلُّبِ الشعب وعبادتِه للعجل الذهبيّ، تحطّم العهدُ بينه وبين الله. ولكنّ الله يجدّده في إطار شبيه بما في خر ١٩، ليدلّ على خطورة الالتزام. لا يبرم عهدًا جديدًا، بل يجدّد العهد بعدما نُقِضَ السابق في عبادة العجل الذهبيّ، ووعَد في الوقت عينه بأنّه يُطيلُ روحَه لأنّه يعرف ضعفَ الإنسان.

لقد طلب موسى أن يرى مجدَ الله (٣٣: ١٨)، فإذا هو يشعّ هذا المجد. غير أنّ المجدَ يبقى باهتًا بالنسبة إلى المجدِ الذي يشعُّ على وجه يسوع (٢ كو ٣: ١٣). إنّ الفعل "شَعّ"، قَ رَ نْ، !r;q' (خر ٣٤: ٢٩–٣٠) يعكس مجد الربّ على وجه موسى، ولقد فهمت الترجمة اللاتينيّة للكتاب المقدّس (La Vulgate) الفعل "شَعّ"، قَ رَ نْ، קָרַן، أنّه كلمة "قَرنٌ"، وهكذا صُوّرَ موسى مع قرنين في القرون الوسطى.

١٧ عا ٤: ٤؛ ٥: ٥؛ هو ٨: ٥–٦.

١٨ ١ مل ١٢: ٢٦–٣٣.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 520 1/30/17 8:02 PM

ج' – **تحقيق العبادة (٣٥ – ٤٠)**: هنا يبدأ تنفيذ الأوامر المتعلّقة ببناء المعبد ولباس الكهنة. وهكذا يستعيد القسم الأخير (خر ٣٥ – ٤٠) نصّ خر ٢٥ – ٣١ للكلام عمّا فعله موسى طاعة لله. نقرأ على التوالي، ما يتعلّق بالاستعدادت (خر ٣٥: ١ – ٣٦: ٧)، ثمّ المسكن وأثاثه (٣٦: ٨ – ٣٨: ٢٠) وإحصاء المعادن التي استُعملت (٣٩: ١–٣١). وفي النهاية (٣٩: ٣٢–٤٣) يتمّ تسليم موسى الأشغال استعدادًا لبناء المسكن (خر ٤٠) أو خيمة اللقاء. وبعد أن بُني المسكن، ذكّر الربّ بأهمّيّة يوم السبت (٣٥: ٢–٣)، وهو يفعل الآن قبل الكلام عن تنفيذ التعليمات المتعلّقة بالعبادة؛ فعَمِلَ موسى بجميع ما أمره الربّ به (خر ٤٠)؛ فالطاعةُ لأمر الربّ هي مفتاح هذا الفصل الأخير. موسى أطاع الله، والشعبُ أطاع موسى وقدّم ما قدّم، فجاء الله وأقام في المعبد. أقام بين شعبه قبل بناء هيكل سليمان. وبعد هَدْم الهيكل سنة ٥٨٧ ق. م، يكون حاضرًا، فيُعِيدُ الرجاءَ إلى القلوب البائسة والضائعة، إلى الذين فقدوا كلّ عزم للرجوع إلى أرض الربّ وإعادة بناء الهيكل (حز ١١: ٢٢) حيث مجد الربّ يرتفع بسبب آثام الشعب. ولكنّه يعود حين يعود المنفيّون من السبي البابليّ (حز ٤٣: ٤).

II – تطوّرات عيد الفصح حتّى زمن يسوع

لمعرفة رموز وبنود التأسيس الإفخارستيّ الذي رسمه يسوع في العشاء الأخير مع رسله، لا بدّ من العودة إلى الجذور، أي: العهد القديم! كلّ الدراسات البيبليّة واللاهوتيّة تُظهرُ مدى تجذُّر يسوع في الأسفار القديمة، التي بدونها لا يمكن معرفته معرفة كافية وكاملة. يقول Urs Von Balthasar: "عندما ننظر إلى سرّ يسوع بحدّ ذاته، نرى كثيرًا من الأمور تتخطّى إدراكنا وتبقى مُبهمة لا نستطيع فهمها وحلّ عُقَدِها، ولكن عندما ندرك أنّ كلّ العهد القديم يصُبُّ في خانة يسوع، فإنّ الإبهام يسقط من تلقاء ذاته والعُقدُ تَتَفَكّكُ". هكذا الإفخارستيّا التي أسّسها يسوع وعاشتها الجماعة المسيحيّة الأولى، فهي نتيجة حتميّة لتاريخ الفصح الطويل التي وصلت إلى خواتمها في علّيّة صهيون.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 521 1/30/17 8:02 PM

أ – تاريخ عيد الفصح

نقرأ رواية الفصح في مكانين مختلفين في الكتاب المقدّس: خر ١٢: ١–٢٠ وتث ١٦: ١–٨ تقليديًّا، يُقرأ المرجع الأوّل حين يُراد الكلام عن الحَدَث التأسيسيّ: خروج بني إسرائيل من مصر! فهو دون شكٍّ ليس تقريرًا صحفيًّا دقيقًا لما جرى في تلك الليلة التي أخرج فيها الله شعبه من مصر، لأنّ النصّ كُتب بعد تلك الأحداث بسنين طويلة، وبدون شكٍّ، أيّام السبي البابليّ.

يتحدّث النصّ عن زمنٍ سابقٍ لحدث الخروج. ولقد أصبح غالبيّة العلماء اليوم مقتنعين أنّ عيد الفصح لم يبدأ مع حدث الخروج، بل كان موجودًا أصلاً، لكنّه أخذ مفهومًا جديدًا على ضوء حدث عبور بحر الأحمر. من المحتمل أنّه كان يوجد في زمن الآباء عيدٌ يسمّى "بِ صَ حْ" (الذي أعطى كلمة "فِصْحٌ")، وهو عيد بَدَوِيٌّ جماعيٌّ ربيعيٌّ، يحتفل به الرعاة ليلةَ رحيلهم مع مواشيهم عن مكان إقامتهم إلى مرابض خصبة أُخرى. في ليلة الرحيل هذه، كانوا يقدّمون للآلهة ذبيحةً طالبين منها البركة لقطعان مواشيهم وحفظًا لها من "القِوَى المدّمِرَة والمُبيدة" المرموز إليها بـ"الآفة المدّمرة" (خر ١٢: ١٣). والحيوانات التي كانت أكثر عُرضةً للإبادة هي الحملان والجداء الصغيرة[١٩] مواليد السنة؛ فكانوا يختارون من بين المواشي حملاً صغيرًا لا عيب فيه، يتقدّم رئيس القبيلة وينحره ويقدّمه ذبيحة للآلهة إسترضاءً لها وحماية للقطعان، وكانوا ينضحون خيامهم وأعتابها بدمه، فإذا مرّت"الآفة المدّمرة" ترى تلك العلامة، تعبر عن تلك الخيم ولا تبيدها. ولعلّ كلمة "فصح" (פֶּסַח) تعود إلى تلك الحقبة، والمشتقّة من فعل "فَ صَ حْ" (פָּסַח)، وتعني: عَبَرَ، قَفَزَ فوق (الخِيَم) ورَحَل[٢٠].

كان يُحتَفَلُ بهذا العيد عند حلول الليل في وقتٍ يكون القمر بدرًا[٢١]، فتُقامُ مائدةُ الشركة مع الآلهة حامية المواشي. أمّا العشاء فيكون من الأطعمة المتوفّرة في البرّيّة، وهي: الخروف المشويّ، الأعشاب المرّة التي تنبت في الصحراء أيّام فصل الربيع (ألسِليقْ) والخبز الفطير[٢٢]. يحمل المشاركون في أيديهم عصاة، ويشدُّون

١٩ بسبب طول الطريق وصعوبة سلوكها وكثرة أخطارها، كانت الحملان والجداء مواليد السنة تلقى حتفها.

20 Be lame, limp Passover:

٢١ أي بين الرابع عشر والخامس عشر من شهر نيسان القمريّ.

٢٢ خبز الفطير دون خمير (a;zumoj،hC'm ; ، مَصّه): هذا النوع من الخبز يصنعونه في المناطق الصحراويّة والحارّة فلا يَفسد ويدوم طويلاً.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 522 1/30/17 8:02 PM

أوساطهم ويتناولون الطعام وقوفًا علامة لرحيلهم القريب. لقد حافظ العبرانيّون على طقوس وتقاليد الأجداد والآباء هذه، لأنّها تذكّرهم بهويّتِهم وطفولتِهم، فكانوا يحتفلون بهذا العيد كلّ سنة عند حلول فصل الربيع، وقت انتقالهم مع مواشيهم من مناطق الساحل إلى المناطق العالية. لكن، عندما ارتحل بنو إسرائيل عن مصر وعبروا بحر الأحمر وجاؤوا إلى سيناء، أخذ عيد الفصح مفهومًا جديدًا أكبر وأعمق، لم يعد مجرّدَ احتفال طقسيّ بمناسبة انتقالهم من المناطق الساحليّة إلى المناطق الجبليّة، بل إحياءً للحَدَثِ التأسيسيّ: الانتقال من أرض العبوديّة إلى أرض العبادة، هذا ما نراه في الفكرة المتكّررة (leitmotiv) التي تَرِدُ مع كلّ ضربةٍ من ضربات مصر: "أَطلِق شعبي لِيَعْبُدُونِي في البرّيّة" שַׁלַּח אֶת־עַמִּי וְיַעַבְדֻנִי בַּמִּדְבָּר (خر ٧: ١٦).

في أواسط القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أخذ عيد الفصح مفهومًا جديدًا؛ لقد طغى حدث العبور على التقاليد القديمة للعيد. طبعًا، لقد حافظت المراسيم الجديدة للعيد على بعض الأمور الأساسيّة القديمة، مثل: التوقيت الربيعيّ للعيد، ذبح الخروف، الطعام، رشّ الدم... إنّما الذي تغيّر هو المفهوم والمعنى الجديد للعيد، وهو: التدّخل الإلهيّ في تاريخ شعبٍ ليحرّره! أصبح الاحتفالُ بالحدثِ التأسيسيّ زمنَ احتفالٍ بقدرة الله المحرّر لشعبه من العبوديّة الفرعونيّة. في تلك السنة، أصبح الخروج، من مصر ذهابًا دون عودة، بداية مغامرة جديدة، مسيرة نهائيّة إلى أرض الميعاد. مع حدثِ الخروج، تبّدل مفهومُ عيد الفصح تبدُّلاً جذريًّا؛ لقد أصبح الخروج حدثًا تاريخيًّا وتأسيسيًّا مَفْصليًّا حلّ حلولاً مبرمًا مكان عيد الفصح القديم الذي كان "دورةً رَتِيبَة ومتكّررة لفَصلِ الربيع"[٢٣]. من الآن وصاعدًا، أصبح الفصح عيدَ العبورِ من العبوديّة إلى عبادة الله ومن الموت إلى الحياة. هذا المعنى الجديد للعيد، تَبوّأ الصدارة في سفر الخروج واستقلّ القسم الأكبر منه، خاصّة في روايات ضربات مصر[٢٤] التي أظهر الله فيها أنّه "الإلهُ الحقيقيُّ" مخلّصُ شعبه وقائدُه الأعظم.

٢٣ Un cycle monotone et répétitif du printemps.

٢٤ خر ٧-١١.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 523 1/30/17 8:02 PM

ب – قراءة جديدة للحدث

تبدو للقارئ الملاحظات السابقة غامضة مُبهمة وغير دقيقة؛ فمن الطقس القديم لم يبق إلاّ بعض أجهزةِ شهودٍ، ومن تاريخ الحدث لم يبق أيضًا إلاّ بعض المَعالم (مصر، موسى، البحر...)، لذا يجب أن نفهم ونلاحظ أنّ رواية سفر الخروج للفصح ليست روايةً تاريخيّةً بَحْتة، ولا تقريرًا صحفيًّا صِرْفًا، إذ ليست مَهَمّتها سَرد تفاصيلَ ما حدث ليلةَ الخروج الشهيرة بإتْقَانٍ ودِّقة، ولكنّ نَقلَ كيفيّة الاحتفال بهذا الحدث في الجماعات اليهوديّة؛ فالروايةُ إذًا رواية **ليتورجيّة!** والطابع الليتورجيّ أخذ يتبلور شيئًا فشيئًا مع الزمن؛ فالتعليمات والتحضيرات للعيد، مثل: اختيار حَمَلٍ قبل أربعة أيّام من الاحتفال ووضعه على حدة، وكيفية ذبحه، وكيفيّة أكله، وكيفيّة المشاركة في المائدة... كلُّها "رويبريكات ليتورجيّة" تعكس زمنًا بعيدًا جدًّا؛ فالنصُّ النهائيّ للرواية، لم يبصر النور إلاّ في زمن المنفى (سنة ٥٥٠ ق. م)، ولكنّ التقاليد والتعليمات المستعملة في الاحتفال هي قديمة جدًّا، تعود إلى سنين بعيدة قبل المنفى.

نرى في روايتيَّ الفصح[٢٥] أنّ العيدَ الفصحيّ مرتبط بعيد الفطير، لكن في الأساس لم يكن من ارتباطٍ بينهما إطلاقًا؛ فالأوّل هو طقس بدويّ، والثاني هو طقس زراعيّ، مرتبط بعالَم الزراعة، أي بأُناسٍ انتقلوا من البداوة إلى الحَضَر؛ فعيد "خبز الفطير" (מַצּוֹת, ἄζυμος) وجده الإسرائيليّون عند الشعوب الكنعانيّة أيّام دخولهم أرض الميعاد. وفي الواقع، كان الكنعانيّون أيّام حصاد الشعير، يُتلِفُون كلّ ما بقي عندهم من حصاد السنة الماضية، ويأكلون خبز الفطير (دون خمير) المصنوع من الحصاد الجديد. هذا العيد هو، نوعًا ما، وسيلة لضمان حماية الآلهة لهم ولخصوبة الأرض. لقد قبل الإسرائيليّون هذا العيد وأدخلوه في كلندارهم الليتورجيّ، بعد أن أعطوه معنًى جديدًا. وبما أنّه يقع في الوقت ذاته لعيد الفصح، انتهى بهم الأمر أن دَمَجوا العيدين معًا ليصبحَا سويًّا ذكرى الخروج من مصر.

ج – الفصح من يوشيّا الملك إلى يسوع

لقد تعّودنا السّماع أنّ الفصح هو العيد الرئيسيّ والأوّل في العهد القديم، ولكن

٢٥ خر ١٢: ١-٢٠ وتث ١٦: ١-٨.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 524 1/30/17 8:02 PM

لو تنقّلنا بين أسفاره، لَرَأَينا أنّها لا تأتي على ذكر الاحتفال بالعيدِ الفصحيّ إلاّ نادرًا، باستثناء سفر يشوع بن نون[٢٦]؛ فبعد أن خُتِنَ بنو إسرائيل في الجلجال[٢٧]، احتفلوا بالفصح لأوّل مرّة هناك على أرض الميعاد. بعد هذا الاحتفال، لم تعد تذكر البيبليا أيّ احتفال مماثل آخر!؟ هل هذا بسبب طابعه العائليّ؟ أو بسبب طابعه المحلّيّ؟ أم بسبب تناحر أسباط إسرائيل مع بعضها بعد أن تقاسموا أرض الميعاد؟ في الواقع، الفصح هو عيد عائليّ بامتياز، يُحتَفَلُ به ضمن أفراد العائلة الواحدة؛ لهذا السبب صَمَتَ المؤرّخون البيبليّون عن ذكره، و لم تعد تلك الاحتفالات الطقسيّة تثير اهتماماتهم.

لكن حَدَثَ تحوُّلٌ كبيرٌ لعيد الفصح في القرن السادس ق. م، أيّام الملك يوشيا[٢٨] ملك يهوذا؛ فلقد زوّدنا سفر الملوك الثاني (٢٢ و٢٣) و٢ أخ ٣٥: ١–١٩ بمعلومات قيّمة عن هذا التحوُّل في الاحتفالات الفصحيّة؛ فخلال عمل الترميم في هيكل أورشليم أيّام الملك يوشيّا، وجد العمّال، عن طريق الصدفة، مخطوطات تشريعية مخبّأةً في جدار الهيكل، مخطوطات أبصرت النور في مملكة الشّمال (إسرائيل) على يد "الإصلاحيّين"، لكن لمّا سقطت السامرة، عاصمة تلك المملكة، في أيدي الأشوريّين سنة ٧٢١ ق. م، هرب أهل الشمال إلى الجنوب ومعهم تلك

٢٦ "وخيمَ بَنو إسْرائيلَ بالجِلْجال، وأقاموا الفصْحَ في اليَوم الرابع عَشَرَ منَ الشّهْر مَساءً في سَهْلَ أَريحا. وأَكَلوا من غَلّة الأَرض في الغَد بَعدَ الفصْحَ: فَطيرًا وفَريكا، في ذلك اليَومَ عَينه. فانقَطَعَ المَنُّ منَ الغَد مُنذُ أَكَلوا من غَلّة الأَرْض، فلَمَ يَكُنْ لِبَني إسْرائيلَ مَنٌ بَعدَ ذلك، وأَكلوا من غَلّة أَرض كَنْعانَ في تلكَ السّنَة" (يش ٥: ١٠–١٢).

٢٧ يش ٥: ٢–٩.

٢٨ يوشيّا اسم عبريّ (יאשיהו، يُ ا ش يَ ه و) معناه "يهوه يشفي". هو ابن آمون ملك يهوذا ويَديدة بنت عَدايا من بُصْقَة: "وكانَ يوشيّا ابنَ ثَماني سَنَوات حينَ مَلَكَ، ومَلَكَ إحْدى وثَلاثينَ سَنَةً في أورَشَليم. واسمُ أمّه يَديدة، بنتُ عَدايا، من بُصْقَة" (٢ مل ٢٢: ١). ذُكر في سلسلة أنساب المسيح (مت ١: ١٠–١١). خلف أباه آمون بن منسى الذي قَتله عبيده في قصره بعد أنّ ملك سنتين (٢ مل ٢١: ١٩–٢٦ و٢ أخ ٣٣: ٢١–٢٥). تبوأ العرش وهو ابن ٨ سنوات حوالى ٦٣٩ ق. م.، ودام ملكه الطويل حتّى ٦٠٩ ق.م. وكان مرشده في حداثته حلقيّا الكاهن العظيم ،وأدار شؤون المملكة حسب نصحه وإرشاده. وأخذ منذ السنة الثامنة من ملكه في السير حسب الشرائع الإلهيّة وتوطيد أركان مملكته وفق هذه الشرائع. باشر منذ السنة الثانية عشرة من ملكه بمقاومة العبادة الوثنيّة دون هوادة ليس في مملكة يهوذا فحسب بل في المملكة الشماليّة أيضًا (٢ مل ٢٢: ١ و٢؛ ٢ أخ ٣٤: ١–٦ و٣٣). وفي السنة الثامنة عشرة من ملكه وأثناء ترميم الهيكل وجد شافان الكاتب سفر الشريعة المفقود (٢ مل ٢٢: ٣ي؛ ٢ أخ ٣٤: ١٤)، فأخبر حلقيًّا الكاهن العظيم بذلك، فأتى هذا بالسفر الذي عثروا عليه إلى يوشيا وقرأه أمامه، فتأثر الملك أشد تأثير لأنّ الأمّة كانت قد حادت جدًّا عن شريعة الله. وكانت المخطوطة التي وجدت نواة السفر المعروف بـ"سفر تثنية الإشتراع". على أساس هذا الاكتشاف قام الملك بما يسمّى "إصلاح يوشيا"، فحطّم العجل الذهبيّ الذي وضعه يربعام الأوّل ملك إسرائيل في معبد بيت إيل قبل ثلاثة قرون، وأمر الشعب أن يحتفل بعيد الفصح سنويًّا، وجمع بني إسرائيل للاحتفال بهذا العيد.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 525 1/30/17 8:02 PM

المخطوطات وخبّأوها في الهيكل خوفًا من التلف والضياع. ولمّا وُجِدَت أيّام يوشيّا الملك[٢٩]، اعتُبِرَ الأمر بمثابة إنذار إلهيٍّ لمملكة الجنوب، فقام الملك بإصلاح طقسيٍّ ودينيٍّ في خطّ "تثنية الإشتراع"، سُمّي بـ"التَجدُّد الليتورجيّ"، مبنيٍّ على ثلاث ركائز أساسيّة: **إله واحد، شعب واحد، وهيكل واحد!** وتطبيقًا لبنود هذا التجدُّد والبدءِ ببناء جماعةٍ واحدةٍ متماسكة، أُلغِيَت كلُّ المعابد المحلّيّة التي أقامها الآباء، وأُلزِم بنو إسرائيل بالاحتفال بالأعياد "في المكان الذي يوجد فيه اسمه القدُّوس"، أي **أورشليم**[٣٠]. من هنا نفهم الطابع القانونيّ والاشتراعيّ لعيد الفصح الوارد في تث ١٦: ١–٨؛ يذكر الكاتب الاشتراعيّ مدينةَ أورشليم ثلاث مرّات، دلالةً على أهمّيّة الاحتفال بالفصح في المدينة المقدّسة.

مات الملك يوشيّا سنة ٦٠٩ ق. م. في معركة مجّدو على يد الفرعون نَكْو الثاني[٣١]، فخلفه أولاده الثلاثة على عرش مملكة يهوذا وهم: يوآحاز يوياقيم ويوياكين[٣٢]. كان معاصرًا للنبيَّين إرميا وصفنيا، ولقد لُقّبَ بـ"داود الجديد". ذهب الملك الإصلاحيّ، لكنّ ثورته الطقسيّة الإصلاحيّة بَقِيَت ونَمَتْ ودامت أكثر من ٦٥٠ سنة، أي حتّى دمار أورشليم وهيكلها سنة ٧٠ ب. م. معه أصبحت أورشليم المكان الأساسيّ والمركزيّ للاحتفال بالفصح، كما أصبح هذا العيد في عهده عيدًا دينيًّا وطنيًّا معًا. يسوع نفسه احتفل بالفصح حسب المراسم الطقسيّة التي رسمها الملك يوشيّا، وهذا مهمّ جدًّا لمعرفة معنى العشاء الأخير ليسوع وموته.

د – الفصح، زمن الخلاص

قبل إصلاح الملك يوشيّا، لم يكن لدينا معلومات واضحة عن المكان الحقيقيّ

---

٢٩ وجدت المخطوطات في الهيكل سنة ٦٢٢ ق. م.

٣٠ "لا يَحِل لَكَ أَن تَذبَحَ الفصْحَ في إِحْدى مُدُنكَ الّتي يُعْطيكَ الرّبُّ إِلهُكَ إِيّاها، بل في المَكان الّذي يَخْتارُه الربّ إِلهُكَ لِيُحلّ فيه اسمَه تَذبَحُ الفَصْحَ في المَساء، عندَ مَغيبِ الشّمْس، في مِثْلِ الوَقتِ الّذي خَرَجتَ فيه من مِصْر. واطبُخْه وكُلْه في المَوضِعِ الّذي يَخْتارُهُ الرّبُّ إِلهُكَ" (تث ١٦: ٥–٧).

٣١ **نكو الثاني** هو أحد فراعنة الأسرة المصريّة السادسة والعشرين في تاريخ مصر القديمة"مصر القديم، وقد احتلّ مكان الشرف في التاريخ الدولي للعصور القديمة. قام بتولّي الحكم من سنة ٦١٠ إلى ٥٩٥ ق. م.، وكانت سياسة الملك نكاو في الأسرة السادسة والعشرين، أن يقوم بدور فعّال في العالم الخارجيّ؛ فبمجرّد أن تبوّأ العرش، تدخّل في آسيا، فحارب يوشيّا ملك يهوذا، الذي أراد إقفال الطريق أمامه بعد أسوار مجدوّ. فقتل يوشيا في المعركة، وعيّن نكاو ملكًا من اختياره لعرش أورشليم، فظلّ فرعون سيّد فلسطين وسوريا مدّة أربع سنوات. غير أنّ نبختنصر أباد جيشه في قرقميش سنة ٦٠٥ ق. م.، فتحطّمت إمبراطوريّته الآسيويّة.

٣٢ أيّام الملك يوياكين سقطت أورشليم سنة ٥٨٧ ق. م. في أيدي البابليّين وبدأ السبيي إلى بابل.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 526 1/30/17 8:02 PM

للاحتفال بالفصح في إسرائيل؛ يبدو أنّ الطابع العائليّ للعيد يبرّر هذا الصمت والتكتّم. ولكن مع الإصلاح الليتورجيّ، أصبح الفصح عيدًا وطنيًّا موّحدًا يحتفل به كلُّ الشعب في وقتٍ واحدٍ وفي مكانٍ واحدٍ هو أورشليم. هكذا احتفالٌ لم نشهده إطلاقًا في إسرائيل قبل الإصلاح، مُنذُ أَيّامِ القُضاةِ، كما يُعلِمُنا نصُّ ٢ مل ٢٣: ٢٢: "و لَمْ يَكُنْ قد أُقيمَ فِصحٌ مِثلُ هذا مُنذُ أَيّامِ القُضاةِ الذينَ قَضَوا في إسْرائيل، ولا في جَميعِ أيّامِ مُلوكِ إسْرائيلَ ومُلوكِ يَهوذا"[٣٣]. ولكن أيّام تجديد الهيكل سنة ٥١٥ ق. م، يذكر سفر عزرا[٣٤] أنّه احتُفل بالفصح، "وأَقاموا عيدَ الفَطيرِ سَبعَةَ أَيّامٍ بِفَرَحٍ، لِأَنّ الرّبّ فَرَّحَهم"[٣٥]. بعد ذلك، تلتزم النصوص البيبليّة الصمت و لم تعدّ تتحدّث عن الاحتفال الفصحيّ. ولكنّ مصادر أخرى، تسّمى "بَارَابيبليّة" (Para-biblique)، تُخبر في ما بعد أن الأحتفال الفصحيّ أخذ بعدًا دينيًّا أعمق وأشمل

٣٣ إنّ الجديد في الموضوع، هو التشديد على الاحتفال بعيد الفصح في المكان الذي يردّد صدى الإصلاح الدينيّ الذي قام به تباعًا الملكان حزقيّا (٧١٦–٦٨٧ ق. م.) ويوشيّا (٦٤٠–٦٠٩ ق. م.)، والذي تمّ فيه إغلاق أماكن العبادة المنتشرة على المرتفعات، لصالح الهيكل في أورشليم، الذي صار المركز العباديّ الوحيد للإحتفالات الدينيّة، ولا سيّما عيد الفصح، بعيدًا عن العبادات والتقاليد الكنعانيّة.

عن إصلاح حزقيّا رج ٢ مل ١٨: ٣–٧. وعن إصلاح يوشيّا رج ٢ مل ٢٢–٢٣ و٢ أخ ٣٥: ١–١٩. يبدو من ٢ مل ٢٣: ٢١–٢٣، أنّ الملك يوشيّا، بعد اكتشافه سفر العهد سنة ٦٢٢ ق. م؛ أعدّ لاحتفال بالفصح لم يكن له مثيل منذ أيّام القضاة (آ ٢٢). هل المقصود أنّ الفصح لم يكن يُحتفل به منذ زمن القضاة البعيد، أم أنّ الطريقة التي احتفل بها الملك يوشيّا هي مغايرة لطريقة أقدم بفعل الإصلاح الدينيّ؟ يوضح سفر الأخبار الثاني (ف ٣٥) مراسم هذا الفصح بذكر يوم الرابع عشر من الشهر الأوّل (نيسان) كيوم احتفال بالعيد الذي يقام في الهيكل حيث أمر الملك بوضع تابوت العهد نهائيًّا، وشجّع الكهنة واللاويّين على خدمته في موضعه، وأن يعدُّوا كلّ شيء للاحتفال بالفصح على النحو التالي: ١) تهيئة آلاف من رؤوس الغنم والماعز والبقر لتقدمتها ذبائح فصحيّة؛ ٢) توزيع العمل بين الكهنة واللاويّين: يتولّج الكهنة ذبح قرابين الفصح ورشّ دمائها على المذبح، ثمّ يهتمُّ اللاويّون بسلخها وبتوزيعها على الشعب، بحسب عشائرهم، بعد شيّها؛ ٣) حضور المغنيّن من بني آساف، والبوّابين على مداخل الهيكل؛ ٤) الجمع بين الفصح والفطير في (آ ١٧)، يدوم أكل الفطير سبعة أيّام. يتوافق ٢ أخ مع ٢ مل، بأنّ هذا الفصح الذي أمر به يوشيّا الملك (آ ١٨–١٩). إذا امتاز هذا الفصح عن غيره بهذا الكمّ الكبير من الذبائح، وبتنظيم الكهنة واللاويّين في تقدمة الذبائح وتوزيعها، وبحضور المغنيّن لمرافقة أعمال الفصح، والبوّابين لتنظيم دخول الجماعة وخروجها كلّ هذه العناصر التي أمر بها كتاب الشريعة جعلت من هذا الفصح الذي احتفل به في السنة الثامنة عشرة من ملك يوشيا مميّزًا لا بل فريدًا. نجد بين الوصف الذي في ٢ أخ، وما جاء في فصل "فَسَحيمْ" ....، تقاربًا سلوكيًّا، لا سيّما في ما يختصُّ بدور الكهنة واللاويّين، في تنظيم العيد من ذبح ورشّ وسلخ وشيّ لقرابين الفصح، وإعطائها للشعب ليحتفل بالعيد، ومرافقة جميع هذه الأعمال بترانيم مزموريّة تقوم بها جوقة من اللاويّين ("الفصح اليهوديّ"، أ. إميل عقيقي، ص. ٣٠–٣١).

٣٤ ٦: ١٩–٢٢: "وأَقامَ بَنو الجَلاءَ الفصحَ في الرّابعَ عَشَرَ مَنَ الشّهرِ الأَوّل. ولأَنّ بَني الجَلاءِ لم يَتَطَهّروا جَميعًا، تَطَهّرَ اللاوِيّونَ كَرَجُلٍ واحد وذَبَحوا الفِصحَ لِجَميعِ بَني الجَلاءِ ولإِخوَتِهم الكَهَنَة ولأَنفُسِهم، فأَكَلَه بَنو إسْرائيلَ الّذينَ رَجَعوا مِنَ الجَلاءِ وكُلُّ مَنَ انضَمّ إليهِم وأَعرَضَ عَن نَجاسَةِ أُمَمِ الأَرض، لِالتِماسِ الرَبّ إلهِ إسْرائيل. وأَقاموا عيدَ الفَطيرِ سَبعَةَ أَيّامٍ بِفَرَح، لأَنّ الربّ فَرّحَهم وأَمالَ قَلبَ مَلكِ أَشُورَ إليهِم، لِيُشَدِّدَ أَيدِيَهم في عَمَلِ بَيتِ اللهِ، إلهِ إسْرائيل".

٣٥ عز ٦: ٢٢.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 527 1/30/17 8:02 PM

عند الشعب اليهوديّ، ففي سنة ١٩٦٣، نشر[٣٦] P. Roger Le Deaut كتابًا قيّمًا جدًّا عنوانه: "الليلة الفصحيّة" (La nuit pascale) يتحدّث فيه عن معنى الفصح اليهوديّ حسب "الترجوم[٣٧] الفلسطينيّ لسفر الخروج ١٢: ٤٢"[٣٨]: "كانَت لَيلَةَ سَهَرٍ لِلرّبّ، لإخراجِهم مِن أَرضِ مِصْر؛ فلَيلَةُ السّهَرِ هذه يَحفَظُها لِلرّبّ بَنو إسرائيل جَميعُهم مَدى أَجْيالِهم"، ثمّ نَشَرَ "الترجوم الفلسطينيّ للتوراة"[٣٩] بالكامل.

إنّ نصّ "ترجوم سفر الخروج ١٢: ٤٢" يعكس مفهومًا بيبليًّا قديمًا جدًّا لعيد الفصح؛ لقد أصبحت "الليلة الفصحيّة"، حدثًا مهّمًا له "بُعْدٌ رَمزيٌّ شامل" إلى حدٍّ ما! تختزل كلّ الأحداث الرئيسيّة الكبرى في تاريخ إسرائيل: **خلق الكون، التجلّي الإلهيّ لإبراهيم، ولادة وذبيحة إسحق، التحرير من مصر ومجيء المسيح في الزمن النهيويّ.** يتلاقى الماضي والحاضر والمستقبل في هذه الليلة الفصحيّة. إنّها ليلة سَهَرٍ للتحرير، تجمع في كَنَفِها أربع ليالٍ مدوّنة في " كتاب التذكارات"، وهي كالآتي:

– **الليلة الأولى،** لمّا تجلّى الربّ–يهوه على الكون ليخلقه. فلقد كان العالم خواءً خلاءً والظلام يغطّي وجه اللجج، وكانت كلمة الربّ–يهوه النور الذي ينير الجميع. ودعاها الليلة الأولى.

– **الليلة الثانية،** لما تجلّى الربّ–يهوه لإبراهيم وهو في عمر مئة سنة، وزوجته سارة في عمر تسعين سنة، لكي يتمّ ما قاله الكتاب: هل يلد إبراهيم وهو ابن مئة سنة، وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ؟ وكان إسحق ابن سبع وثلاثين

36 P. Roger LE Déaut, né à Camors le 28 octobre 1923 et mort à Chevilly le 12 juillet 2000, est un prêtre de la Congrégation du Saint-Esprit (Un Spiritain) qui a été un professeur de langue et de littérature araméenne et targoumique à l'Institut biblique pontifical à Rome .

٣٧ "الترجوم" (תַּרְגּוּם) كلمة تعني "ترجمة" ونقلاً من العبريّة إلى الآراميّة. تعود اللفظة إلى "ت ر ج م" (شرح، نقل، ترجم؛ عز ٤: ٧)، إلى أصل أكاديّ أو حثّي. أمّا في الاستعمال الرابّينيّ، فالفعل يدلّ على نقل النصّ العبريّ إلى أيّ لغة أخرى. غير أنّ الكلمة "ترجوم" استعملت فقط لتدلّ على ترجمة البيبليا من العبريّة إلى الآراميّة (البيبليا في اللغة الآراميّة)، أو على النصوص الآراميّة التي نجدها بشكل خاصّ في دانيال وعزرا (المشناة، يديم ٤: ٤). يُقرأ النصّ العبريّ في ليتورجيّة المجمع، وينقله المترجم (ترجمان) للحاضرين الذين ما عادوا يفهمون العبريّة. بدأت "التراجيم" في القرن الأوّل ق. م.، إن لم يكن قبل ذلك، وقد اكتُشفت نصوص عديدة في قمران مثل ترجوم أيوب، ترجوم اللاويّين، ترجوم سفر التكوين... نحن نمتلك اليوم "ترجوم" جميع الأسفار البيبليّة ما عدا دانيال وعزرا ونحميا، وهي تتوزّع حسب توزيع الكتاب المقدّس في عهده القديم: التوراة، الأنبياء، والكتب.

38 P. Roger LE Déaut, *La nuit pascale. Essai sur la signification de la Pâque juive à partir du Targum d'Exode XII 42*, (Analecta Biblica, 22) Rome 1963.

39 Il a publié intégralement le « *Targum palestinien du Pentateuque* ».

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 528 1/30/17 8:02 PM

سنة حين قُرّب على المذبح. انحدرت السماوات ونزلت ورأى إسحق كمالاتها وأظلمت عيناه بسبب كمالاتها. ودعاها الليلة الثانية.

– **الليلة الثالثة،** حين تجلّى الربّ–يهوه للمصريّين في وسط الليل: كانت يده تقتل أبكار المصريّين ويمينه تحمي أبكار إسرائيل لكي يتمّ ما قال الكتاب: إبني البكر هو إسرائيل. ودعاها الليلة الثالثة.

– الليلة الرابعة، حين يصل العالم إلى نهايته لكي ينحلّ. أنيار الحديد تتحطّم، والأجيال الفاسدة تزول، ويصعد موسى من وسط البرّيّة، والملك المسيح يأتي من العلاء. واحد يمشي في رأس القطيع والآخر يمشي في رأس القطيع، وكلامه (= الربّ–يهوه) يمشي بين الإثنين، وأنا وهم نمشي معًا. تلك هي ليلة الفصح لاسم الربّ، وهي ليلة محفوظة ومحدّدة لتحرير كلّ إسرائيل على مدى أجيالهم.

ترجوم سفر الخروج (١٢: ٤٢) – النصُّ الآراميّ

לילי נטיר ומזמן לפרקן הוא קודם ה בזמן אפקתהון [053] בני ישראל פריקין מן ארעא דמצרים הוא ליליה הדן לשמה דה נטור ומזמן לפרקן הוא לכל בנוי דישראל לדריהון [063] לילי נטיר ומהימן לפר[ק]ן הוא קדם יי בזמן אפקותהון דבני ישראל פריקין מארעא דמצרים ארם ארבעה לילוון הינון דכתיבין בספר דוכרניא ליליא קדמאה כד אתגלי מימריה דיי על עלמא למברי יתה והוה עלם[א] תהי ובהי וחשוכא פריס[ע]לאפי תהום[א] ום[מיריה] דיי הוה[נהו]ר ומנהר וקרא יתיה ליליא [ק]דמא[ה ליליא] תנינא כד את[ג]לי מימר[י]ה דיי ביני בתריא[הוה אברהם] בר ם[א]ה שנין ושרה הות ברת תשעין שנין בזמנה ההוא הלא בר תלתין ושבע שנין הוה יצחק בזימנה די דאתקרב עלגבי מדבחא קדישה ש[מיא] אמכון ונחתו וחמה יצח[ק] ית שכלוליהון וכהיין עינוהי וקרא יתיה ל[י]לי תנינא: לילי תליתאה כד אתגלי מים ד[יי על מצר]אי בפלג[ו]ת ליליה[ה]ות שמאליה רמה ומקטלה בבכוריהון דמצראי ויד ימיניה משזבה בכוריה[ון] דישראל למקימה מה[ד]אמר באוריתה וקרא יתיה לילי תליתא[ה] לילי רביעאה כד[י]שלים עלמא קיציה למתפרקה דרשיעיא

الترجمة العربيّة (خر ١٢: ٤٢)

هي ليلة سهر معدّة للتحرير باسم الربّ، ساعة أخرج بني إسرائيل وحرّرهم من أرض مصر. هناك أربع ليالٍ تسجّلت في كتاب التذكارات. الليلة الأولى حين تجلّى الربّ على العالم ليخلقه. كان العالم تائهًا مشوّشًا وانتشرت الظلمة على وجه القمر. وكان كلام الربّ النور الذي يضيء ودعاها الليلة الأولى. والليلة الثانية حين تجلّى الربّ لإبراهيم وهو ابن مئة، وسارة امرأته وهي ابنة تسعين سنة، لكي يُتمّ ما قال الكتاب: هل يلد إبراهيم وهو ابن مئة سنة، وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة؟ وكان إسحق ابن سبع وثلاثين سنة حين قُرّب على المذبح. انحدرت السماوات ونزلت ورأى اسحق كمالاتها وأظلمت عيناه بسبب كمالاتها. ودعاها الليلة الثانية. والليلة الثالثة، حين تجلّى الله للمصريّين في وسط الليل: كانت يده تقتل أبكار المصريّين ويمينه تحمي أبكار إسرائيل لكي يتمّ ما قال الكتاب. ابني البكر هو إسرائيل. ودعاها الليلة الثالثة. والليلة الرابعة، حين يصل العالم إلى نهايته لكي ينحلّ. أنيار الحديد تتحطّم، والأجيال الفاسدة تزول، ويصعد موسى من

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 529 1/30/17 8:02 PM

ישתיצון ונירי פרזלא יתברון משה ייסק מן גואו מדבר[ה] דין ידבר בראש עמא ודין מדבר בראש [עם]א ומי[ם]ריה מדבר בראש ת[רי]הון ואנא והינון ם[ה]ל[כי]ן
כחדא הוא ל[י]ל פסחה קד[ם] יי דקרא יתיה רבון כל עלמיא לילי רביעאה בסוף עלם[א] נטיר ומזמן לכל בני ישראל לדריהון:

وسط البرّيّة، والملك المسيحُ يأتي من العلاء. واحد يمشي في رأس القطيع والآخر يمشي في رأس القطيع، وكلامه (= الربّ) يمشي بين الاثنين وأنا وهم يمشون معًا. تلك هي ليلة الفصح لاسم الربّ، وهي ليلة محفوظة ومحدّدة لتحرير كلّ إسرائيل على مدى أجيالهم

III – العشاء الفصحيّ اليهوديّ أيّام يسوع[٤٠]

يُسمّى عيد الفصح اليهوديّ بالعبريّة:(פֶּסַח، "فِ صَ حْ")[٤١]؛ هو أحد الأعياد الرئيسيّة في اليهوديّة، ويُحتَفَل به لمدّة ٧ أيّام بدءًا من ١٥ أبريل/نيسان حسب التقويم اليهوديّ لإحياء ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر الفرعونيّة، كما يُوصف في سفر الخروج.

أ – موعد العيد

في التقويم اليهوديّ يُعتبر شهر أبريل/نيسان أوّل أشهر الربيع، وعيد الفصح نفسه يُسمَّى أحيانًا بـ"عيد الربيع"، ولكن لكون الأشهر اليهوديّة قمريّة، يجب في بعض السنوات مضاعفة الشهر الذي يسبق أبريل/نيسان، أي شهر مارس/آذار، كي لا يتراجع شهر أبريل/نيسان إلى موسم الشتاء. يَحِلُّ عيد الفصح في منتصف شهر أبريل/نيسان اليهوديّ، أي عند اكتمال القمر الأوّل بعد الاعتدال الربيعيّ

40 Ch. Perrot, « Le repas du Seigneur », *M.D.* 123(1975), p. 29-46. Du même auteur, « Jésus et l'histoire », coll. Jésus et Jésus Crhist, Desclée, 1979. J. Jeremias, « La dernière Cène », Lectio Divina 75, Cerf, 1972, E.Stapfer, « La Palestine au temps de Jésus Christ », Paris, 1885.

أ. إميل عقيقي، رواية الفصح، سلسلة الأدب الرابّينيّ ٤ ، منشورات جامعة الروح القدس – الكسليك، ٢٠١٤.

٤١ يوجد في العهد القديم أعياد كثيرة، من بينها ثلاثة أعياد رئيسيّة تُدعى "أعياد الحجّ"، يصعد خلالها اليهود، في ثلاثة مواعيد سنويّة، إلى أورشليم وهيكلها، لتقديم مراسم العبادة والعشور والذبائح، وهي: عيد الفصح، وعيد العنصرة أو الأسابيع، وعيد المظالّ. يحتلّ عيد الفصح المكانة الأولى بينها لما يحمل في طيّاته من أحداث تأسيسيّة. إنّ عبارة "فِصْحٌ" هي تعريب للفظة פסח العبريّة المشتقّة من الجذر "ف س ح" الذي منه "فَسَحْ" ومعناه: عبر، اجتاز، و"فِسّيحٌ" ومعناه: وثَبَ، وقَفَزَ، وعَرَجَ. إنّ "المشناه" تضع لفظة "فصح"، פסה، العبريّة في صيغة الجمع: "فَسَحيمْ"، פסחים ، ويُراد به صيغة المثنّى أي "فِصْحَان"؛ والمقصود بهما: الفصح الأوّل، الذي يُحتفل به في الرابع عشر مَن أبيب/ نيسان، وهو الشهر الأوّل من السنة العبريّة؛ والفصح الثاني، ويُحتفل به في حال عدم التّمكن من الاحتفال بالأوّل، وذلك في الرابع عشر من شهر أيّار. لقد شكل مقال "المشناه" حتّى عهد الجِنُونيم قسمين منفصلين: الفصح الأوّل، والفصح الثاني؛ وقد جُمعا تحت عنوان واحد: "فِسَحِيمْ" أو "الفصحان".

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 530 1/30/17 8:02 PM

(٢٠ أو ٢١ مارس/آذار) ولكن في بعض الأحيان يَحِلُّ في نهاية أبريل/نيسان عند اكتمال القمر الثاني بعد الاعتدال الربيعيّ، لأنّ حساب التلاؤم بين السنة القمريّة والشمسيّة ليس دقيقًا بشكل تامّ. حسب الشريعة اليهوديّة يكون اليوم الأوّل واليوم الآخر من العيد يومَيّ عطلة يحظر فيهما القيام بأيّ عمل، أمّا الأيّام الخمسة بينهما فيوصى بها الاستراحة دون حظر كامل على العمل.

ب – معنى العيد

معظم تقاليد العيد مأخوذة من التوراة مع التفاسير التي أضيفت إليها عبر الأجيال. ومن أبرز مميّزات العيد هو الامتناع عن أكل الخبز المصنوع من المختمر، وبدلاً من الخبز يؤكل الفطير غير المختمر الذي يُسمّى -"מַצָּה، ἄζυμος، مَصّه". ويشرح سفر الخروج هذا التقليد كرمز لاستعجال بني إسرائيل عند خروجهم من مصر حيث لم يتمكّنوا من الانتظار لانتفاخ العجين عندما أعدّوا مؤونتهم. حسب الشريعة اليهوديّة المعاصرة، يُحرَّم على اليهود أكل الخمير طيلة سبعة أيّام العيد، وتلزمهم بإبعاده عن البيت طيلة فترة العيد؛ من هنا إلزاميّة البحث عن الخمير المتبقّي في المنزل، ابتداءً من بعد ظهر يوم الرابع عشر من نيسان؛ وتُسمّى هذه الممارسة "البحث عن الخمير" (בדיקת חמץ)؛ فعلى كلّ يهوديّ التخلُّص من كلّ المأكولات المصنوعة من عجين مختمر قبل حلول العيد وأن يقوم بحرق ما يبقى من هذه المأكولات في طقس يقوم به عشيّة العيد، عبارةً عن استعداده لأداء وصايا العيد[٤٢].

ج – مراسم العشاء الفصحيّ اليهوديّ

تُعرف عشيّةُ العيد باسم "لِيلْ هَسِّدِرْ" (לֵיל הַסֵּדֶר)، ليلة الرتبة"، أي "سِدِرْ فِصَحْ، סדר פסח، "رتبة الفصح"، وفيها يجتمع أبناء العائلة والأقرباء للعشاء الاحتفاليّ مع مرافقة بصلوات وسلسلة من الطقوس الدينيّة، وتُعرَضُ تفاصيل

٤٢ في القرن العشرين مع تطور الوسائل لتخزين الطعام، سمح بعض الحاخامين ببيع مخزونات الخبز والخمير التابعين لليهود لغير اليهود بتفاهم أن يعيد المشترون المخزونات لأصحابها الأصليّين بعد العيد. شاعت هذه الحيلة حتّى أصبحت من طقوس العيد، واليوم هناك احتفال رسميّ في إسرائيل يقابل فيه الحاخامان الرئيسيّان مواطنًا غير يهوديّ لتوقيع على اتفاقيّة بيع جميع الخمير التابع للدولة بتفاهم أن يعيد المواطن الخمير للدولة بعد العيد.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 531 1/30/17 8:02 PM

رتبةِ الصلوات والطقوس في كتاب خاصّ يُسَمّى بـ"هَجَدَه فِصَحْ" (הַגָּדָה פסה، "رواية الفصح")، وهو من أكثر الكتب التقليديّة انتشارًا لدى اليهود، وهو يحتوي على نصوص ذات علاقة بالعيد من التوراة، و المشناه والتلمود، كما يحتوي على صلوات العيد والمزامير مع تعليمات عن الوقت الملائم لقراءة كلّ منها وطريقة أداء الطقوس المصحوبة بالقراءات. من أهمّ الطقوس هو شرب أربع كؤوس من خمر العنب خلال قراءة نصوص الـ"هَجَدَه فِصَحْ" ، كذلك يُغَنّي أصغر أبناءِ العائلة ترنيمةً بعنوان: "مَهْ نِشتَنَهْ" (מָה נִּשְׁתַּנָּה)، أي "بماذا تختلف؟"، أي بماذا تختلف هذه الليلة عن باقي الليالي؟

أمّا عناصر "رتبة الفصح" فنجدها في "المشناه" (الفصل العاشر، فِسَحِيمْ פסחים)، التي درج اليهود على الاحتفال بها حتّى يومنا هذا، وهي مرتّبة على الشكل الآتي:

أوّلاً: طَبَق الاحتفال يوضع على الطاولة، ويحتوي على مأكولات رمزيّة تذّكر بأيّام الخروج الأولى، وهي كالتالي: ١) عَظْمَةٌ يغطّيها بعضُ اللحّم المشويّ على النار، وترمز إلى الخروف الفصحيّ[٤٣] الذي كان يُذبح في هيكل أورشليم. ٢) بيضة مشويّة ترمز إلى الذبيحة الخاصّة بعيد الفصح. ٣) الأعشاب المرّة، وترمز إلى المذّلة التي كابدها الإسرائيليّون في مصر. ٤) الحَرُوسِتْ، وهي مزيج من التُّفاح والجوز والنّبيذ والقرفةِ، وترمز إلى المهراس الذي كان الإسرائيليّون يستعملونه في زمن السُّخرة. ٥) الكَرْباس، وهو نوع من الخضار – وقد يكون من البقدونس–، يُغمس في الماء المالح، وغايته تربويّة أكثر منها رمزيّة، لإثارة فضول الأطفال الموجودين في الاحتفال، وحثّهم على الأسئلة حول ما يجري. ٦) الماء المالح، ويرمز إلى الدموع التي ذرفها الإسرائيليّون في مصر أيّام السُّخرة.

ثانيًا: الخبز الفطير (לחם מצות)، ويتألّف من ثلاثة أرغفة: اثنان منها يرمزان إلى الرّغيفين اللّذين يوضعان عادة على مائدة السبت والأعياد، أمّا الثالث فهو خاصٌّ بالاحتفال الفصحيّ.

٤٣ في كلّ سنة، لمّا خرج الإسرائيليّون من مصر كانوا يرشّون دم الخروف الفصحيّ أمام المذبح، ويشوونه ويضعون فيه سيخًا على طوله، وسيخًا على عرضه، على هيئة صليب، ولا يكسرون عظمًا من عظامه، وهو إشارة إلى المسيح (يو ١٩: ٣٦ و١ كو ٥: ٧).

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 532 1/30/17 8:02 PM

ثالثًا: كؤوس النّبيذ الأربع[٤٤]، وتُشرب في أربعة أوقات مختلفة من الرّتبة، وهي ترمز إلى أربع عبارات تحمل معنى الخلاص، بحسب ما جاء في سفر الخروج: "لِذلك قُلْ لِبَني إسرائيل: أَنا الرّبُّ، **لأُخرِجَنّكم** مِن تحتِ سُخْراتِ المِصريّين **وأُنقِذُكم** مِن عُبودِيّتِهِم **وأَفديكم** بِذِراعٍ مَبْسوطة وأَحْكامٍ عَظيمة. **وأَتّخِذُكم** لي شَعبًا وأَكونُ لَكم إلهًا وتَعلَمونَ أَنّي أَنا الرّبُّ إِلهُكم الّذي يُخرِجُكم مِن تَحتِ سُخْراتِ المِصريّين" (خر ٦: ٦–٧).

رابعًا: كأس النبيّ إيليّا أُضِيفَتْ إلى الكؤوس الأربع، إذ يُحكى عن خلاف وقع بين الحكماء حول وجود عبارة في الآية الثامنة، من الفصل السادس عينه، تكمّل معنى الخلاص: "**وسأُدخِلُكمُ** الأَرضَ الّتي رَفَعتُ يَدي مُقسِمًا أَن أُعطِيَها لإِبْراهيمَ وإِسحقَ ويَعْقوب فأُعطِيَها لَكم ميراثًا أَنا الرّبّ" (خر ٦: ٨)؛ هذا من جهة. أمّا من جهة أُخرى، فيذكر التّقليد الرّابينيّ، أنّ المسائل التشريعيّة العالقة بين الحكماء، كانت عادةً تُحالُ إلى إيليّا النّبيّ حين عودته، لإعلان بداية الأيّام المسيحانيّة (ملا ٣: ٢٣)؛ لذلك إيمانًا منهم بهذه العودة، تقرّر فرض كأس نبيذ خامسة إكرامًا له، فاتحين الباب، أثناء العشاء، لاستقباله.

خامسًا: أَفيقُومان، وهو قطعة من رغيف خبز الفطير، تُفصل في بداية العشاء الفصحيّ، وتُخبّأ إلى ما بعده، حيث توزّع على المشتركين بالإحتفال، كرمز للعشاء الأخير الذي أكَلَهَ أجدادهم في مصر، قبل رحيلهم، ولكي يبقى طعم العيد وذكراه في بالهم.

(بالنسبة إلى مراسم العشاء الفصحيّ اليهوديّ، راجع الملحق في آخر المحاضرة)

٤٤ الكؤوس الأربع: يشرب الكبار ٤ كؤوس نبيذ، أمّا الأطفال فيشربون عصير العنب. يشربون الكؤوس وهم متّكئون على الجهة اليسرى كالرجال الأحرار. هذه الكؤوس الأربع ترمز إلى مواعيد الخلاص الأربع، كما ورد في خر ٦: ٦–٧: الكأس الأوّل، هو كأس التقديس: "أنا الرّبُّ، لأخرِجَنّكم"؛ الكأس الثانية، هو كأس الخلاص: "وأُنقِذُكم"؛ الكأس الثالثة، هو كأس الفداء: "وأفديكم" (كأس البركة، هو كأس العهد الجديد بدم المسيح)؛ الكأس الرابعة، هو كأس الإصلاح: "وأَتّخِذُكم لي شَعبًا وأكونُ لَكم إلهًا".
الكؤوس الخمسة هي تعبير عن الحرّيّة وعن المراحل المختلفة لخلاص شعب الله. الكؤوس الأربعة تحقّقت معانيها بتحرير الشعب؛ أمّا الكأس الخامسة، كأس النبيّ إيليّا، فهي في يد الله وبعيدة عن متناولنا، من أجل ذلك لا يُشْرَبُ كأسُ النبيّ إيليّا في العشاء الفصحيّ إطلاقًا، بانتظار أن يرسله الله ليفتتح الزمن المسيحانيّ ويشرب بنفسه كأسه المحفوظ له. حسب مفهوم العهد الجديد، النبيّ إيليّا قد أتى بشخص يوحنّا المعمدان، لذلك شَرِبَ يسوع الكأس المحفوظ للنبيّ الموعود.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 533 1/30/17 8:02 PM

IV – فصح يسوع المسيح

كلُّ مرّةٍ نحتفل بالإفخارستيّا نُأَوّن ما صنع يسوعُ ونَتَلّفظُ بذات الكلمات التي نطق بها في عشائه الأخير مع رُسُلِهِ. وقد وصلت إلينا رواية هذا العشاء في أربعةِ نصوصٍ من العهد الجديد. متّى ومرقس ولوقا وبولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس[٤٥]. إنّ الروايات عن عشاء يسوع السرّيّ وعن تأسيس الإفخارستيّا تتّسم بتشابك فرضيات متنافرة بينها. ليس مهمّة محاضرتي الدخول في المسائل العديدة المختَصّة بكلّ قطعة كلام أو تاريخ، بل الوصول إلى صورة بيّنة لفصح المسيح.

إنّ رسالة العهد الجديد ليست مجّرد فكرة وهميّة خياليّة، فالإيمان البيبليّ لا يروي أساطير يَعُدُّها رموزًا لحقائق تتخطّى التاريخ، بل هو يرتكز على تاريخ جرى على أرض الواقع؛ فإذا لم يُعطِ المسيح رُسُلَه الخبز والخمرَ على أنّهما جسدَه ودمَه، يكون الاحتفالُ بالإفخارستيّا فارغًا من معناه، ويكون، عندئذٍ، عبارةً عن خيالٍ خَادِع، وليس حقيقة ترتكز عليها الشّركة مع الله والبشر.

لقد كتب يوحنّا في مُقَدّمَةِ إنجيله "والكلمة صار جسدًا" (١: ١٤). إنّه حَدَثٌ تاريخيٌّ لا جدل فيه، أللهُ دخل تاريخَ الإنسانِ بشخصِ يسوع المسيح، ولكن لا لغايةِ التجّسد بحَدّ ذاته فقط، وإنّما أيضًا في ما يتعلّق بالعشاء السرّيّ والصَلبِ والقيامة: إنّ تجّسُد يسوع مُعَدٌ من أجلِ بذل ذاته (الإفخارستيّا) من أجل البشر، وهذا البذل مُعَدٌ من أجل القيامة، والقيامة هي عربون انتصار الإنسان الواهي على الموت والعدميّة، وإلاّ لن تكونَ المسيحيّة حقيقيّة.

سيطال بحثُنا توقيت احتفال يسوع بالعشاء السرّيّ، لمعرفة ما إذا كان عشاءً فصحيًّا أو غير ذلك. كما سنتطّرق إلى دراسة كلمات يسوع في العشاء الأخير وأبعادها البيبليّة لنفهم بعمق وإيمان سرّ الإفخارستيّا، سرّ حضوره الدائم معنا.

١ – تاريخ العشاء السرّيّ

تقوم مشكِلةُ تأريخِ العشاء السرّيّ الذي احتَفَلَ به يسوع على الاختلاف بين

٤٥ مت ٢٦؛ مر ١٤؛ لو ٢٢؛ ١ كو ١١.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 534 1/30/17 8:02 PM

ما جاء في الأناجيل الإزائيّة، من جهّة، وما ورد في إنجيل يوحنّا، من جهّة أُخرى. فإنّ مرقس، يتبعه متّى ولوقا بشكلٍ أساسيٍّ، يقدّم في هذا الموضوع تاريخًا دقيقًا، فيقول: "وفي أَوّلِ يَومٍ مِن الفَطيرِ، وفيه يُذبَحُ حَمَلُ الفِصْح، قال له تَلاميذُه: إلى أَينَ تُريدُ أَن نَمضِيَ فنُعِدّ لَكَ لِتَأكُلَ الفِصْح ؟... ولمّا كانَ المساء، جاءَ مع الاثنَي عَشر" (١٤: ١٢ و١٧). إنّ مساء اليوم الأوّل للفطير، حيث كانت تُذبَح حملان الفصح في الهيكل، هو عشيّة عيد الفصح. وبحسب التسلسل الزمنيّ للأناجيل الإزائيّة، كان ذلك يومَ خميس؛ فالعشاء الأخير هو بالنسبة إلى الأناجيل الإزائيّة عشاء فصحيٌّ[٤٦].

بعد غيابِ الشمسِ بدأ عيد الفصح، وإذ ذاك تناول يسوع العشاء الفصحيّ مع رسله، وعلى غرار كلّ الحجّاج الذين وفدوا إلى أورشليم. وفي الليلة بين الخميس والجمعة، – دومًا بحسب الأناجيل الإزائيّة – تمّ توقيف يسوع، واقْتِيدَ إلى المحكمة، وصباح الجمعة حَكَمَ عليه بيلاطس بالموت، ومن ثمّ، "نحو الساعة الثالثة" (أي الساعة التاسعة صباحًا بتوقيتنا الحالي) صُلِبَ. أمّا توقيت موت يسوع فكان في الساعة التاسعة (أي الساعة الثالثة بعد الظهر بتوقيتنا الحالي). "وكانَ المساءُ قد أَقبَلَ، ولمّا كانَ ذلك اليَومُ يَومَ التّهيئَة، أَي الّذي قَبلَ السّبت، جاءَ يوسُفُ الرّامي، وهو عُضوٌ وَجيهٌ في المَجلِس، وكانَ هو أَيضًا يَنتَظِرُ مَلكوتَ الله، فَجَمَلته الجُرأَةُ على أَن يَدخُلَ إلى بيلاطس ويَطلُبَ جُثمانَ يسوع" (مر ١٥: ٤٢–٤٣). وكان ينبغي أن يَتّمَ الدفنُ قبل غياب الشمس، أي قبل بدء السبت. وكان السبت يوم رقاد يسوع في القبر. وحدثت القيامة في صباح "اليوم الأوّل" من الأسبوع، أي يوم الأحد.

ما يثير الشبهة في هذا التسلسل الزمنيّ، هو أنّ دعوى يسوع وصلبَه جَرَيَا في أثناءِ عيد الفصح، الذي وقع يوم جمعة في تلك السنة. لكن من غير المنطق الدينيّ التوراتي أن تجري هذه الأحداث في أيّام الفصح، كما يبدو مريبًا أن يكون من الجائر والممكن حصولُ الدعوى أمام بيلاطس والصلب في ذلك العيد المهّم لدى اليهود. ثمّ إنّ هناك معلومة نقلها مرقس وهي تشكّل عائقًا أمام هذه الفريضة. يخبرنا بأنّه، قبل يومين من عيد الفطير، كان رؤساء الكهنة والكتبة يبحثون عن وسيلة للقبض على يسوع بحيلة لقتله؛ لكنّهم قالوا: "وكانَ الفِصحُ والفَطيرُ بَعدَ يَومَين. وكانَ عُظَماءُ الكَهَنَةِ والكَتَبَةُ يَبحَثونَ كيف يُمسِكونَهُ بِحيلَةٍ فيَقتُلونَه، لأَنّهُم

٤٦ مر ١٤: ١٢؛ مت ٢٦: ١٧؛ لو ٢٢: ٧.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 535 1/30/17 8:02 PM

قالوا: لا في حَفلَة العيد، لِئَلاّ يَحدُثَ اضطِرابٌ في الشّعْب" (مر ١٤: ١–٢). لكن تنفيذ الحكم بصلب يسوع، بحسب التسلسل الزمنيّ في الأناجيل الإزائيّة، يجب أن يكون قد حصل، في الواقع، في يوم العيد نفسه.

لنتّجه الآن ناحية التسلسل الزمنيّ في إنجيل يوحنّا، الذي يحرص جيّدًا على عدم تقديم العشاء السرّيّ كأنّه فصحيّ. على العكس، فإنّ السلطات اليهوديّة، التي تقود يسوع إلى محكمة بيلاطس، تتجنّب الدخول إلى دار الولاية: "وساقوا يَسوعَ مِن عِندِ قَيافا إلى دارِ الحاكِم. وكانَ ذلكَ عِندَ الفَجْر، فلَم يَدخُلوا دارَ الحاكِم مَخافَةَ أن يَتَنَجّسوا فلا يَتَمَكّنوا مِن أَكْلِ الفِصْح" (يو ١٨: ٢٨). بعد ذلك يبدأ الفصح، فقط في المساء، فخلال الدعوى كان العشاء الفصحيّ لم يتّم بعد؛ الدعوى والصلب حدثا عشيّة الفصح، في أثناء "التهيئة"، وليس في أثناء العيد نفسه. إذًا، في تلك السنة، امتدّ عيد الفصح من مساء الجمعة إلى مساء السبت، وليس من مساء الخميس إلى مساء الجمعة.

أمّا بالنسبة إلى الباقي، فإنّ مجرى الأحداث لا يتغيّر. مساء الخميس العشاء السرّيّ ليسوع مع رسله، وهو ليس عشاء الفصح؛ الجمعة – عشيّة العيد، لا العيد نفسه: الدعوى والصلب؛ السبت: رقاد القبر؛ والأحد: القيامة. فبحسب هذا التسلسل الزمنيّ يكون يسوع قد مات في الوقت الذي كانت تُذبَح فيه الحملان الفصحيّة في الهيكل. مات على أنّه الحملُ الحقيقيُّ، وكان الوحيد من بين الحملان، الذي أُعلن عنه من قبل.

إنّ هذه الصلة المهمّة لاهوتيًّا بين موت يسوع ووقت ذبح حملان الفصح قادت كثيرين من الباحثين إلى التخلّص من رواية يوحنّا، وقد عدّوها تسلسلاً زمنيًّا لاهوتيًّا، فيكون يوحنّا قد غيّر التسلسل الزمنيّ، بغية خلق هذه الصلة اللاهوتيّة. لكنّنا، اليوم، نرى بوضوح أكثر أنّ التسلسل الزمنيّ عند يوحنّا محتمل تاريخيًّا أكثر من التسلسل الذي ورد في الأناجيل الإزائيّة. لأنّه، كما قِيلَ، من غير المعقول أن تجري الدعوى وتنفيذ الحكم بالموت في يوم العيد. ولكن من جهة ثانية، يظهر عشاء يسوع الأخير وثيق الارتباط بتقليد الفصح بحيث يبدو مريبًا إنكار طابعه الفصحيّ.

حاول المفسّرون تفسير هذا الإختلاف. فقال بعضهم إنّ تأخير يوحنّا لموعد الفصح اليهوديّ إلى مساء الجمعة يهدف إلى تحقيق المقارنة التامّة بين المسيح والحمل الفصحيّ؛ فموت المسيح قد حدث في الساعة الثالثة من بعد ظهر الجمعة، وفي

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 536 1/30/17 8:02 PM

الساعة التي تُذبَح فيها الحملان الفصحيّة في الهيكل. فيسوع هو الحمل الفصحيّ الحقيقيّ. لذلك فقد جاء: "أمّا يسوع فلَمّا وَصَلوا إليه ورأوهُ قد مات، لم يَكسِروا ساقَيْه، لكِنّ واحدًا مِنَ الجُنودِ طَعَنه بِحَربَةٍ في جَنبِه، فخرَجَ لِوَقتِه دَمٌ وماء... فقد كانَ هذا لِيَتِمّ الكِتاب: لن يُكسَرَ له عَظْم" (يو ١٩: ٣٣–٣٦). والحمل الفصحيُّ، حسب الناموس اليهوديّ: "... وعَظْمًا لا تَكسِروا مِنه" (خر ١٢: ٤٦).

قال غيرهم إنّ العشاء السرّيّ ليسوع كان مائدة الـ"قِدُّوش"، "التقديس" (קדוש)، وهي رتبة إفتتاح يوم السبت أو الأعياد اليهوديّة مساءً، تبدأ بتبريك الخبز والخمر ومباركة الله القدّوس. ولكن، حسب توقيت هذه الرتبة، كان يسوع قد مات، فكيف صنع العشاء الأخير حسب مائدة الـ"قِدُّوش"؟ منهم من قال أنّها كانت مائدة، חבורה، "هَبُورَه"، أي: "رابطة، إئْتِلاف، إتِّحاد، تَجَمُّعٌ، تَكَتُّلٌ، تَنْظيم، جَمْعِيّة"، أي لقاء أحبّاء وأصدقاء حول مائدة يوم السبت أو أي يوم عطلة. لكنّ العشاء الأخير ليسوع لم يكن من هذا النوع إطلاقًا. كما قال آخرون[٤٧] (منهم Annie Jaubert) أيضًا إنّ يسوع قد أقام الفصح مساء الثلاثاء طبقًا لتقويم الإسينيّين[٤٨] (جماعة قمران) الذي لا يُراعي الروزنامة القمريّة بل الشمسيّة، أي تاريخ عيد الفصح ثابت لا يتغيّر. ولكن هناك ضعف كبير في هذه النظريّة، فإنّه من غير المحتمل أن يكون يسوع قد استعمل روزنامة منتشرة، بنوع خاصّ، في جماعة قمران. بمناسبة الأعياد الكبيرة، كان يسوع يزور الهيكل. وعلى الرغم من تنبّؤة بدماره، فإنّه تبع روزنامة اليهود في ما خصّ الأعياد، كما يُظهره إنجيل يوحنّا بنوع خاصّ.

إنّ نظريّة Annie Jaubert، رغم ما فيها من أمور إيجابيّة، تبقى ضعيفة، لأنّها تفترض أنّ يسوع قد تخلّى تمامًا عن اليهوديّة الرسميّة، وتبع عادات فرق خاصّة هي فرقة الأسينيّين. وهذا لا ينسجم مع موقف المسيح كما يظهر من خلال الأناجيل كلّها. لقد انتَقَدَ معظمُ العلماء البيبليّين هذه النظريّة، وفي مقدّمتهم[٤٩] Pierre Benoit.

47 Annie JAUBERT, *La date de la Cène*, Paris, Gabalda, 1957.

٤٨ حسب تقويم الإسّينيّين الشمسيّ، يقع عيد الفصح كلّ سنة الثلاثاء مساءً. وفي كتاب يعود إلى القرن الثالث، ويُدعى **تعليم الرسل الإثني عشر (الديداكيه)**، Διδαχὴ των Δὼδεκα Αποστὸλων، هناك نصٌّ يقول: "وبعد أن أكلنا الفصح الثلاثاء مساءً، ذهبنا إلى جبل الزيتون، وأخذوا يسوع ربّنا" (الفصل ١١). وعلى غرار كتاب **الديداكيه**، يؤكّد **تعليم الرسل الإثني عشر** ضرورة الصوم يومي الأربعاء والجمعة: "تصومون لأجلهم يوم الأربعاء، لأنّهم في يوم الأربعاء بدأوا بهلاك نفوسهم وأوقفوني... وصوموا لأجلهم يوم الجمعة، لأنّهم في ذلك اليوم صلبوني" (الفصل ١١).

49 Pierre Benoit, *Exegèse et Théologie* , I, Paris, Cerf, 1961, p. 261 ; Cahiers Évangile, 37 (Sept. 1981), p. 37.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final *f*.indd 537 1/30/17 8:02 PM

ماذا ينبغي لنا أن نقول إذًا؟ لقد تَوَصّلَ John P. Meier[٥٠] إلى نتيجة تقضي بوجوب الإختيار بين التسلسل التاريخيّ عند الإزائيّين والتسلسل التاريخيّ عند يوحنّا. ويبيّن أنّه، إستنادًا إلى مُجمل المصادر، يجب أن يقعَ الاختيار على يوحنّا.

كان يوحنّا على حقّ، لأنّ السُلطات اليهوديّة، في لحظة محاكمة يسوع في حضرة بيلاطوس، لم يكونوا قد تناولوا طعام الفصح بعد، وكان عليهم أن يبقوا أطهارًا، كما تقتضي طريقة العبادة. وهو على حقٍّ أيضًا، لأنّ الصلب لم يتمّ في يوم العيد، بل عشيّة العيد. هذا يعني أنّ يسوع مات، ساعةَ ذُبِحَت خراف العيد في الهيكل. لذا، أن يكون المسيحيُّون من بعد قد رأوا في هذا الموضوع أكثر من مجّرد صدفة، واعترفوا بأنّ يسوع هو الحمل الحقيقيُّ، وأدركوا أنّ طقس الحملان قد وصل بذلك إلى معناه الحقيقيّ.

ولكن ماذا كان حقًّا عشاءُ يسوع السرّيّ ؟ وكيف تمّ التوّصل إلى مفهوم طابعه الفصحيّ الذي هو بدون شكّ قديم جدًّا؟ إنّ جوابَ John P. Meier بسيطٌ جدًّا ومُقنعٌ من جوانب كثيرة: كان يسوع مُتَيَقّنًا من موته الوشيك. وكان يعلم أنّه لن يستطيعَ أن يأكلَ الفصح. وبكلّ وعي منه، دعا رُسُلَهَ إلى عشاءٍ سرّيّ مميّز، وهو عشاءٌ لم يكن ينتمي إلى أيّ طقس يهودِيٍّ مُحَدّد، لكنّه كان وداعيًّا، أعطاهم فيه شيئًا جديدًا، أعطى ذاتَه كَحَمَلٍ حقيقِيٍّ، مؤسّسًا بذلك **فصْحَهُ**.

الشيءُ الجوهريُ في هذا العشاءِ الوداعيّ، لم يكن الفصح القديم، بل الأمرَ الجديد الذي أتمّه يسوع في هذا الإطار. ولئن لم يكن لقاءُ يسوع مع رُسُلِهِ الإثني عشر مأدبةً فصحيّة تُراعي مواصفاتِ الطقس اليهوديّ، فقد ظهرت بوضوح علاقةٌ مضمونَةٌ بموتِ يسوع وقيامتِه: لقد كان فصحُ يسوع. وهكذا يكون قد احتفل بالفصح، ولم يحتفل به إذ لم يكن ممكنًا تطبيق الشعائر القديمة. وحين حلّ موعد تطبيقها، كان يسوع قد مات. لكنّه أعطى ذاتَه، وبهذا احتفل حقيقةً بالفصح معهم. وبهذه الطريقة، لا تكون الشعائر القديمة قد أُلغِيت، بل انتقلت لتتخذ كاملَ معناها.

إنّ أوّلَ شاهدٍ لهذه الرؤية التوحيديّة بين الجديد والقديم، التي يحقّقها التفسيرُ الجديد لعشاء يسوع بالنسبة إلى الفصح في إطار موته وقيامته، موجودٌ في ١ كو ٥: ٧: "طَهّروا أَنفُسَكم مِنَ الخَميرةِ القَديمة لِتَكونوا عَجينًا جَديدًا لأَنّكم فَطير.

50 John P. Meier, *A Marginal Jew. Rethinking the Historical Jesus. The Roots of the Problem and the Person*, Doubleday, New York, 1991, p. 372–433.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 538 1/30/17 8:02 PM

فقَد ذُبِحَ حَمَلُ فِصْحِنا، وهو المسيح". وكما عند مر ١٤: ١، فإنّ الفصحَ يَعْقُبُ، هنا، أوّل أيّام الفطير، إلاّ أنّ المعنى الطقسيّ القديم تحوّل واتخذ معنى مسيحانيًّا ووجوديًّا. فالمسيحيّون ينبغي الآن أن يكونوا هم أنفسُهم الفطير، متحرّرين من خمير الخطيئة. لكنّ الحملُ المذبوح هو المسيح. وبهذا يتّفق بولس تمامًا مع وصف يوحنّا للأحداث. بالنسبة إليه، أضحى موتُ المسيح وقيامتُه الفصحَ الدائم.

لذا نستنتجُ من كلّ ذلك، أنّ يسوع، وهو يَعلَمُ بأنّه سيموت في وقتِ الفصح بالذات، قد بادر فأقامه في اليوم السابق له، مستحضرًا في عشائه الأخير طقس الفصح بصورة يمكنه معها أن يدمج فيه طقسَه الجديد، الذي سيصير طقسَ الفصح في العهد الجديد. وهذا الحلّ يحترم ترتيب يوحنّا الزمنيّ للأحداث، ويقيم اعتبارًا كافيًا لأسلوب العرض في الأناجيل الإزائيّة[٥١].

إستنادًا إلى هذا الحلّ، نقول إنّ يسوع قد قُبض عليه في الليلةِ التي سَبقتَ ليلةَ الفصح اليهوديّ، وصُلِبَ في الساعات التي تَسْبُقُ البَدء باحتفالات الفصح. أمّا العشاءَ الأخير الذي تناوله مع تلاميذه فلم يكن عشاءً فصحيًّا حسب تقليد الفصح اليهوديّ، بل كان عشاءً وداعِيًّا في جوّ عيد الفصح، ترك يسوع لرسُلِه وصيتَه الأخيرةُ، حسب يو ١٣ – ١٧، ورَسَمَ السِرّ الذي يوضح معنى موتِه، وطلب من رُسُلِه أن "يصنعوا هذا لذكره".

باختصار، نفهم أنّ عشاء يسوع الأخير كان عملاً نبويًّا، به يُنبئُ بموته القريب ويُحدّد معانيه وأبعاده الشاملة. فاستباقًا للصليب والقيامة، أعَدّ باكرًا جدًّا فِصحًا... هو فِصْحُهُ الخّاص!

العهدُ الجديدُ بدَمِ يسوع

نَجِدُ بين الرواياتِ الأربع عن الإفخارستيّا نوعين من التقاليد، لهما ميزات مختلفة. بينما يرد الكلام على الخبز عند مرقس (١٤: ٢٢) وعند متّى (٢٦: ٢٦) على النحو التالي: "هذا هو جسدي"، نقرأ عند بولس: "هذا هو جسدي الذي هو لأجلكم" (١ كو ١١: ٢٤)؛ ويكمّل لوقا بحسب المعنى، فيكتب: "هذا هو جسدي الذي يُبذَل من أجلكم" (٢٢: ١٩). ويلي هذه العبارة، عند لوقا وبولس،

٥١ **معجم اللاهوت الكتابيّ**، ص. ٨٦.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 539 1/30/17 8:02 PM

الأمر بتكرار هذا العمل: "إصنعوا هذا لذكري"؛ بينما يغيب هذا القول عند متّى ومرقس. وبحسب مرقس، قال يسوع على الكأس: "هذا هو دمي، دم العهد، الذي يُراق من أجل الكثيرين" (١٤: ٢٤)؛ ويضيف متّى أيضًا: "... يراق من أجل الكثيرين لغفران الخطايا" (٢٦: ٢٨). وإليكم جدول المقارنة بين النصوص الإفخارستيّة عند الإزائيّين ومار بولس الرسول:

مت ٢٦: ٢٦–٢٩	مر ١٤: ٢٢–٢٥	لو ٢٢: ١٩– ٢٠	١ كو ١١: ٢٣– ٢٦
			فإنّي تَسَلّمتُ مِنَ الرّبّ ما
			سَلّمتُه إِلَيكُم، وهو أنّ الرّبّ
			يسوع في اللّيلَةِ الّتي أسلِمَ فيها
وبَينَما هم يَأكُلون،	وبَينما هم يَأكُلون،		أخَذَ خُبْزًا
أخذَ يسوعُ خُبزًا	أخذَ خُبزًا	ثُمّ أخَذَ خُبْزًا	٢٤ وشَكَرَ،
وبارَكَ	وبارَكَ،	وشَكَرَ	ثُمّ كَسَرَه
ثُمّ كَسَرَه	ثُمّ كَسَرَه	وكَسَرَه	
وناوَلَه تلاميذَه	وناوَلَهم	وناوَلَهُم إِيّاهُ	وقال:
وقال:	وقال:	وقال:	
"خُذوا فَكُلوا،	"خُذوا،		"هذا هو جَسَدي،
هذا هُوَ جَسَدي".	هذا هُوَ جَسَدي".	"هذا هو جَسدي يُبذَلُ	إنّه مِن أجْلِكُم.
		مِن أجلِكُم. إصنَعوا هذا	اِصنَعوا هذا لِذِكْري".
		لِذِكْري".	٢٥ وصَنَعَ مِثلَ ذلكَ على
		٢٠ وصنَعَ مِثلَ ذلكَ	الكَأسِ
٢٧ ثُمّ أخَذَ كَأسًا	٢٣ ثُمّ أخَذَ كأسًا وشَكَرَ	على الكأسِ	بَعدَ العَشاءِ
وشَكَرَ	وناوَلَهم،	بَعدَ العَشاءِ	
وناوَلَهم إِيّاها	فشَربوا مِنها كُلُّهم،		
	٢٤ وقالَ لَهم:		وقال:
قائلاً:		فقال:	
"اِشرَبوا مِنها كُلُّكم ٢٨	"هذا هو دَمي		"هذه الكَأسُ هي
فهذا هُوَ دَمي	دَمُ العَهد	"هذِه الكَأسُ هي العَهدُ	العَهْدُ الجَديدُ بِدَمي.
دَمُ العَهد	يُراقُ	الجَديدُ بِدمي الّذي يُراقُ	
يُراقُ	مِن أجلِ كثيرين.	مِن أجْلِكم.	
مِن أجْلِ كثيرين			
لِغُفرانِ الخَطايا.			كُلُّمَا شَرِبتُم
			فاصنَعوه لِذِكْري".
	٢٥ الحَقّ أقولُ لَكم:	١٨ فإنّي أقولُ لَكم: لن	٢٦ فإنّكُم كُلّمَا
٢٩ أقولُ لكم:	لن أشرَبَ بَعدَ الآنِ	أشرَبَ بَعدَ اليَومِ	أكَلتُم هَذا الخُبْز وشَرِبتُم
لَن أشرَبَ بعدَ الآن	مِن عَصيرِ الكَرمَة،	مِن عَصيرِ الكَرمَةِ	هذِه الكَأس تُعلِنونَ مَوتَ الرّبّ
مِن عَصيرِ الكَرْمَةِ هذا حتّى	حتى ذلك اليَومِ الّذي فيه	حتّى يَأتيَ	إلى أن يَأتي".
ذلك اليَومِ الّذي فيهِ أَشرَبُه	أشرَبُه جديدًا في مَلَكوتِ الله".		
مَعَكُم جَديدًا في مَلكوتِ أبي".		مَلَكوتُ الله".	

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 540 1/30/17 8:02 PM

نَلحَظُ إختِلافَين واضِحَين ومهّمَين بين لوقا وبولس (التقليد الإنطاكيّ) من جِهَةٍ، ومرقس ومتّى (التقليد الأورشليميّ) من جِهَةٍ ثانية؛ فبينما نجد عند مرقس ومتّى، أنّ كلمةَ "دمٌ" هي محور الموضوع "هذا هو دمي"، يقول بولس ولوقا: "هذا هو العهد الجديد بدمي". يرى كثيرون في ذلك مراعاة لليهود، ولاشمئزازهم من شرب الدم؛ فالمضمون المباشر ممّا يجب أن يُشرَب ليس "الدّم"، بل "العهد الجديد". هكذا نصل إلى الفرق الثاني: ففيما مرقس ومتّى يتكلّمان فقط على "دم العهد" ملمّحين بذلك إلى سفر الخروج (٢٤: ٨)، أي إلى عَقْدِ العهد في سيناء، يتكلّم بولس ولوقا على "العهد الجديد"، مستندين في ذلك إلى إرميا ٣١: ٣١. بالإضافة إلى ذلك، يتكلّم مرقس ومتّى على الدم المراق "من أجل الكثيرين"، ملمّحين في ذلك إلى ما ورد عند النبيّ أشعيا (٥٣: ١٢)، في حين يقول بولس ولوقا: "من أجلكم"، محوّلين تفكيرنا إلى جماعة الرسل.

إنّ ما قاله يسوع: "هذا هو دمي دم العهد" (متّى ومرقس)، يذّكرنا بما قاله موسى لدى عقد العهد مع الله على جبل سيناء: "فأَخَذَ موسى الدّمَ ورَشّه على الشّعبِ وقال: "هُوَذا دَمُ العَهدِ الّذي قَطَعَه الرّبُّ معَكم على جَميعِ هذه الأَقْوال" (خر ٢٤: ٨). وما جاء في رواية لوقا وبولس: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي" يذّكرنا بما قاله النبيّ إرميا[٥٢] عن "العهد الجديد". وأخيرًا عندنا أشعيا (٥٣: ١٢): "لأَنّه أَسلَمَ نَفْسَه لِلمَوت وأُحصِيَ مع العُصاة وهو حَمَلَ خَطايا الكَثيربن وشَفَعَ في مَعاصيهم"، الذي تنبّأ عن عبد الله البارّ، الذي يحمل خطيئة الكثيرين ويحصل لهم على الخلاص.

لنحاول فَهْمَ هذه النصوص الثلاثة، بحسب المعنى الخّاص لكلّ واحدٍ منها، وفي سياق موقعه الجديد. كان العهد في سيناء، بحسب سفر الخروج (خر ٢٤)، مبنيًّا على عنصرين: على "دم العهد" من جهة، وهو دم ذبائح الحيوانات، كان يُنضح به الهيكل (كرمز لحضور الله) والشعب؛ ومن جهة ثانية، على "كلمة الله، وعلى الوعد بالطاعة" من قِبَلِ إسرائيل: "وأَخَذَ كِتابَ العَهْدِ فتَلا على مَسامِعِ الشّعْبِ

٥٢ إر ٣١: ٣١–٣٤: "ها إنّها تَأتي أَيّام، يقولُ الرّبّ، أَقطعُ فيها مع بَيتِ إسْرائيلَ (وبَيت يَهوذا) عَهدًا جَديدًا، لا كالعَهد الّذي قَطَعتُه مع آبائهم، يَومَ أَخَذتُ بأيديهم لأُخرجَهم من أَرض مِصْرَ لأَنّهم نَقَضوا عَهْدي مع أَنّي كُنتُ سَيّدَهم، يَقولُ الرّبّ. ولكنّ هذا العَهدَ الّذي أَقطَعُه مع بَيتِ إسْرائيل بَعدَ تلكَ الأَيّام، يَقولُ الرّبّ، هو أَنّي أجعَلُ شَريعَتي في بَواطنهم وأَكتُبُها على قُلوبهم، وأكونُ لهم إلهًا وهم يَكونونَ لي شَعبًا. ولا يُعَلّمُ بَعدُ كُلُّ واحد قَريبَه وكُلُّ واحد أَخاه قائلاً: "اعرِف الرّبّ"، لأَنّ جَميعَهم سيَعرِفونَني من صَغيرِهم إلى كبيرِهم، يَقولُ الرّبّ، لأَنّي سأَغفرُ إثمَهم ولَنْ أَذكرَ خَطيئَتَهم من بَعدُ".

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 541 1/30/17 8:02 PM

فقال: كُلُّ ما تَكلّمَ الرّبُّ به نَفعَلُه ونَسمَعُه. فأَخَذَ موسى الدّمَ ورَشّه على الشّعبِ وقال: هُوَذا دَمُ العَهدِ الّذي قَطَعَه الرّبُّ معَكم على جَميعِ هذه الأَقْوال" (خر ٢٤: ٧–٨).

إنّ الوعدَ بالطاعةِ هذا، الذي كان ركيزةً تأسيسيّة للعهد، تَمّ خَرقُه سريعًا مع عبادة الشعب العجلِ الذهبيّ (خر ٣٢)، فيما كان موسى على الجبل، وكلُّ التاريخ اللاحق هو تاريخُ تَمَرُّدٍ وخروقاتٍ وخروجٍ عن الطاعة، كما تشير أسفار العهد القديم التاريخيّة والنبويّة.

في هذا الوقت، إنْفَجَرَ رجاءُ "العهد الجديد"، الذي لم يَعُد مبنيًّا على وفاءِ الإرادةِ الإنسانيّة الهَشّة، بل محفورًا بصورةٍ ثابتَة في القلوبِ عينِها (إر ٣١: ٣٣). وبعبارات أُخرى، يجب أن يؤسّس العهدُ الجديدُ على الطاعة النهائيّة التي لا يمكن تبدُلها أو انتهاكها. إنّ هذه الطاعة، التي هي اليوم أساسُ جذور الإنسانيّة، هي طاعة الابن الذي جعل من نفسه عبدًا، وأخذ على عاتقه، بطاعَته حتّى الموت، كلّ عِصْيَانٍ بشريّ. وهو يتحمّل هذا العِصْيَانَ حتّى أقصى حَدٍّ ويتجاوزه. يجب استئصال الشَرّ وقهره. هنا فقط تكمُنُ الرحمةُ الحقيقيّة. وبما أنّ البشرَ لا يستطيعون ذلك، أخذ الربُّ نفسُه على عاتقِه الآن هذه المهمّة– هذه جودتُه "غيرِ المشروطة"، وهي جودة لا يمكن مطلقًا أن تتناقضَ مع الحقّ والعدالة المرتبطة به: "وإذا كُنّا غَيرَ أُمَناء ظَلّ هو أَمينًا لأَنّه لا يُمكِنُ أَن يُنكِرَ نَفْسَه" (٢ تم ٢: ١٣).

تكمُنُ أمانتُه هذه في أنّه الآن لا يتصرّف فقط كإلهٍ مع البشر، بل كإنسان مع الله، مُؤَسِسًا بذلك العهدَ بطريقةٍ ثابتَة نهائيّة. بالنتيجة، إنّ وجهَ عبدِ الله، الذي يحمل خطيئةَ الكثيرين (أش ٥٣: ١٢)، يتماشى ووعدَ العهد الجديد، المؤسّس بطريقة لا يمكن أن تُقوّض. إنّ تطعيمَ العهدِ هذا، غيرُ القابلِ للموت بعد الآن، والمغروسُ في قلبِ الإنسان، وقلبِ الإنسانيّةِ نفسِها، يَتَحَقّقُ في ألم الإبن، ممثّل البشر، الذي صار عبدًا. مذ ذاك، تَقِفُ، في مواجَهَةِ مَدّ الشَرّ القتّال، طاعةُ الابن الذي تَعذّب الله نفسُه من خلاله، وكان من نتيجة تلك الطاعة، أنّها أكبر بكثير جدًّا من حجم الشرّ المتنامي[٥٣].

٥٣ رو ٥: ١٦–٢٠: "ولَيسَت الهِبَةُ كَمثْلِ ما جَرّت مِنَ العَواقِبِ خَطيئَةُ إنسان واحد. فالحُكْمُ على أَثَرِ خَطيئَةِ إنسان واحد أَفْضى إلى الإدانة، والهِبَةُ على أَثرِ زَلّاتٍ كَثيرة أَفضَت إلَى التّبْرير. فإذا كانَ المَوتُ بزَلّة إنسان واحد قد سَادَ عن يَدِ إنسانٍ واحِد، فأَحْرى أُولئِكَ الّذينَ تَلَقّوا فَيضَ النِّعمَةِ وهِبَةَ البِرّ أن يَسودوا بالحياةِ بيَسوعَ المسيحِ وَحدَه. فكما أنّ

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 542 1/30/17 8:02 PM

لم يستطع دمُ الحيوانات "التكفير" عن الخطيئة، أو ربطِ اللهِ بالبشر. كلُّ ما كان يستطيعُ فِعلُه، هو أن يكون علامة الرجاء، وانتظار طاعةٍ أكبر، تكون حقًّا خلاصيّة. أصبح كلُّ ذلك واقعًا في كلام يسوع على الكأس: لقد أعطى "العهد الجديد بدمه". "دَمُهُ" – أي عَطاءُ ذاتِه بكلّيتِها، هذا العطاءُ الذي فيه عانى إلى أقصى حدٍّ كلّ شرّ البشريّة، وأزال كلّ خيانةٍ باستيعابه إيّاها في أمانته غير المشروطة. هذه هي العبادةُ الجديدة التي أسّسها في العشاء الأخير: أن يجذبَ إليه الإنسانيّةَ بطاعَتِه كمُمثّلٍ للبشريّة. وتعني هذه، المشاركةَ في جسد المسيح ودمه أنّه "من أجل الكَثيرين"، من أجلنا، ويستقبلنا بين الكثيرين، من خلال السرّ.

إنّ ذبيحةَ المسيح هي ذبيحةٌ عن خطايا "الكثيرين". ولفظة "الكثيرين" لفظة آراميّة تعني "الجماعة الكثيرة". لقد رأى المسيحيّون الأوّلون في موتِ يسوع على الصليب تحقيقَ كلّ النبوءات القديمة، وعبورًا من العهد القديم الذي تَمّ بدم الذبائح إلى العهد الجديد الذي تَمّ بتقدمة جسد ودم يسوع نفسه. وهذا ما تفسّره الرسالة إلى العبرانيّين التي تقارن بين "العهد الأوّل" (٨: ٧، ١٣؛ ٩: ١) و"العهد الثاني" (٨: ٧) أو "العهد الجديد" (٨: ٨، ١٣)؛ فوحيُ الله النهائيّ لم يتّم على جبل سيناء، بل في يسوع المسيح الذي هو فِصحُنا و"لِذلِك هو وَسيطُ لِعَهْدٍ جَديد، لِوَصِيّةٍ جَديدة، حَتّى إذا ماتَ فِداءً لِلمَعاصِيَ المَرْتَكَبَةِ في العَهْدِ الأَوّل، نالَ المَدعُوُّونَ الميراثَ الأَبَدِيّ المَوعود" (عب ٩: ١٥).

زَلّةَ إنسانٍ واحدٍ أفضَت بجَميعِ النّاسِ إلى الإدانة، فكَذلِكَ بِرُّ إنسانٍ واحِدٍ يَأتي جَميعَ النّاسِ بِالتّبْريرِ الّذي يَهَبُ الحَياة. فكما أنّه بِمَعصِيَةِ إنسانٍ واحِدٍ جُعِلَت جَماعةُ النّاسِ خاطِئَة، فكَذلِكَ بِطاعةِ واحِدٍ تُجعَلُ جَماعَةُ النّاسِ بارّة. وقَد جاءَتِ الشّريعةُ لِتَكثُرَ الزّلّة، ولَكِن حَيثُ كَثُرَتِ الخَطيئَةُ فاضَتِ النّعمَة".

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 543 1/30/17 8:02 PM

ملحق – مراسم العشاء الفصحيّ اليهوديّ

الصلوات	التعليمات	الرتبة[٥٤] (דסר פסה، سِيدِر فِصَحْ)
مُبَارَكٌ أَنتَ، أَيُّهَا الرّبُّ إِلَهُنا، مَلِكُ الدّهرِ، خَالِقُ ثَمَرِ الجَفنَةِ....	الـ"قِدُّوش" (קדוש) هي صلاة تُتلى على كأس خمر لافتتاح وتبريك احتفالات مساء السبت والأعياد. يُتلى الـ"قِدُّوش" (קדוש) في جميع الأعياد على أولى كؤوس الخمر الأربع.	**١ – التقديس** (קדוש، قَدّشْ) (يملأُون كأسَ الخَمرِ الأُولى للتّقديس). بعد تلاوة صلاة الـ"قِدُّوش" يشرب الحاضرون كأسَ الخَمرِ الأُولى متّكِئينَ على الجهة اليسرى.
	يغسل الجميع أيديهم في وعاء لأكل الكرفس من دون تلاوة بركة غَسل اليدين.	**٢ – غَسلُ اليَدَينِ** (וחחץ، وُرِحَصْ)
مُبَارَكٌ أَنتَ، أَيُّهَا الرّبُّ إِلَهُنا، مَلِكُ الدّهرِ، خَالِقُ ثَمَرِ الأرضِ.	يأخذ المحتفل قليلاً من "الكَرَفَس"، أو البقدونس أو أي نوع آخر من الخضار، ويغمسهُ في الماء المالح ويتلو بركة، ثمّ يُوزّع منهُ على الحاضرين الذين يُردّدون البرَكةَ عينَهَا.	**٣ – غَمْسُ الكَرْفَسِ** (כרשפס، كَرْفَسْ)
	يأخذ المحتفل رغيف الفطير الأوسط من بين الأرغفة الثلاثة، ويكسرهُ نصفين ويضع النصف الأكبر جانبًا ويُدعى "أفيقُومَانْ"	**٤ – كَسْرُ الخُبزِ** (יחץ، يَحَصْ)
ها هو خبز المشّقة الذي أكله آباؤنا في أرض مصر. فليأتِ كلّ جائع وليأكل...	هذا القسم هو نواة رتبة "رواية الفصح"، يحتوي مقاطع: خبز المشّقة، الأسئلة الأربعة ورواية الفصح. يكشف المحتفل عن أرغفة الفطير، ويرفع طبق العيد، ثم يتلو صلاة على خبز المشّقة (أي الفطير). **يملأ المحتفل كأسًا ثانيًا**، ويسأل الولد الأصغر سنًّا أو أحد الحاضرين الأسئلة الأربعة، تسّمى "مَهْ نِشتَنَهْ" (מה נשתנה)، أي "بماذا تختلف"، وهي التالية: – لِمَا غمس الخضار في المرقة مرتين. – لِمَا أكل الخبز الفطير بدل الخمير. – لِمَا أكل الأعشاب المرّة بدل الخضار. – لِمَا الأكل والشُّرب إتكاءً بدل الجلوس تهدف هذه الأسئلة إلى إتمام الوصيّة الواردة في	**٥ – الرّوايَةُ** (נוניד، مَجيدْ)

[٥٤] رج:

Jacques DUBOIS, *Le Seder de Pâque au temps de Jésus*, Paris, 1988, pp. 112-134 ; Dabora SAMUEL, *Passover in Judaism and in The New Testament*, Philadelphia, 2001;

الأب إميل عقيقي، **الفصح اليهوديّ**، جامعة الروح القدس – الكسليك، لبنان.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 544 1/30/17 8:02 PM

	(خر ١٣). جواب المحتفل على الأسئلة الأربعة هو مناسبة لسرد رواية الفصح على الحاضرين، وكيف خلّص الله شعبه من العبوديّة الفرعونيّة وأتى به إلى أرض العبادة والحرّيّة. وفي نهاية الرواية، **يشرب الحاضرون القِسْطَ الأوفر من الكأس الثاني** وهم متكئون على الجهة اليسرى.	
٦– غسل الأيدي (רחצה، رَحْصَه)	بينما يَغسِلونَ أيديهِمْ يُباركون:	مباركٌ أنتَ أيُّها الرّبُّ إلهُنا ملِكُ الدّهرِ الذي قدّسنا بوصاياه، وأوصانا بغسل الأيدي.
٧ – مُنْبِتُ الخُبزِ (מוציא מצה، موصِيا مَصَه)	يقتطع المحتفل قطعة من رغيف الفطير الأعلى، وأُخرى من الرغيف الأوسط، فيأكلها متّكئًا على جنبهِ الأيسر، ثمّ يوزّع قطع فطير على المشاركين الذين ياكلونها بعد تلاوة البركات، وهم متكئون كلٌّ على جنبه الأيسر.	صلاة لمُنبتُ الخبز (המוציא לחם מן הארץ): مباركٌ أنتَ أيُّها الرّبُّ إلهُنا مَلكُ الدّهر مُنْبِتُ الخبزَ من الأرضِ. صلاة على آكل الفطير (על אכילת מצה): مباركٌ أنتَ أيُّها الرّبُّ إلهُنا مَلكُ الدّهر الذي قدّسنا بوصاياه، وأوصانا بأكلِ الخبز الفطير
٨ – الأعشاب المُرّة (מרור، مَرُورْ)	يأخذ كلٌّ من المحتفل والمشتركين أعشابًا مُرّةً، ويَغْمِسُونَها بالـــ "حَرُوسِتْ" חרוסת مباركينَ: (الـــ "حَرُوسِتْ" هي مزيج من التُّفاح والجوز والنّبيذ والقرفة، وترمز إلى المهراس الذي كان الإسرائيليون يستعملونه، في زمن السُّخرة في مصر).	مباركٌ أنتَ أيُّها الرّبُّ إلهُنا مَلكُ الدّهر الذي قدّسنا بوصاياه، وأوصانا بأكلِ الأعشاب الـــمُرّة.
٩ – الجَامِعُ (כורך، كُورِخْ)	يضع كلٌّ من المحتفل والمشتركين أعشابًا مُرّة بين قطعتين من الرغيف الفطير الثالث السُّفليّ قائلين: (هذا العبارة "**الجَامِعُ** (כורך، كُورِخْ"، تعني الجَمعَ بين قطعتين من الخبز الفطير ببعضٍ من الأعشاب الـــمُرّة وبعضٍ من لحم خروف الفصح المشويّ وأكلها معًا. يرد هنا ذكر "رابي هيلّل" (٧٠ ق. م. – ١٠ ب. م.) عند أكل الـــ "كُورِخْ"، وهي طريقة اعتاد "رابي هيلّل" ممارستها في عيد الفصح أيّام الهيكل، إذ كان يأكل الأعشاب المُرّة بين قطعتين من الخبز الفطير؛ فإكرامًا لذكراه يأكل الحاضرون الأعشاب المُرّة مثله مع الخبز الفطير.	ذكرًا لهِيلّلْ الشيخ الذي كان يجمَعُها، في زمان الهيكل، ويأكلها دُفعةً واحدة: الفصح، والخبز الفطير والأعشاب الـــمُرّة. للقيام بما قيل: "مع الخبز الفطير، ومع الأعشاب الـــمُرّة يأكلونه".

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 545 1/30/17 8:02 PM

١٠ – المَائدَةُ المُعَدّةُ (שולחן עורך، شُلِحَنْ عُورِخْ)	يأكلون ويشربون من المائدة المُعّدة، بَدءًا من البيضة المشويّة.	
١١– الخُبْزُ المُخَبَّأُ (צפון، تْصَفُونْ)	بعد الانتهاء من الوليمة، يُوزّع على المشتركين قطعةً من خبز الفطير الموضوع جانبًا والملفُوفِ بقماش وبينما هم يأكلون، يقولون:"الخُبْزُ المُخَبَّأُ": ترجمة للفظة العبريّةצפון، "تْصَفُونْ"، وهي قطعة الخبز الفطير المُقتَطَعة من الرغيف الأوسط (الأفيقُومَانُ) والمُخَبّأةُ جانبًا لأكلها في ختام الإحتفال.	تذكارًا لقربان الفصح يُؤكل الأفيقُومَانُ لِلشّبَع.
١٢– البَرَكَةُ (ברך، بَرِخْ)	يَسكُبُون الكأس الثالثة، كأسُ البَرَكَةِ، ويتلون الشكر ويباركون الله. وبعد صلاة **"البَرَكَةُ"**، **يرفع المحتفل كأس الخمر ويقول: مُبَارَكٌ أَنتَ**، أَيُّهَا الرّبُّ إِلَهُنا، مَلِكُ الدّهرِ، خَالِقُ ثَمَرِ الجَفنَةِ. ثّم يشرب الجميع الكأس الثالثة، (كأسُ البَرَكَةِ[٥٥].	يقول المحتفل: لنبارك الذي أكلنا ممّا لهُ. يُجيبُ المتّكِئُون: لنبارك الذي أكلنا ممّا لهُ، وبِخَيرِهِ حَيَينَا.
١٣ – الهِلّل (הלל، هِلّلْ) **(**مز ١١٥ – ١١٨ و١٣٦)	يسكبون الكأس الرابعة، ويشربوها متكئين يسارًا. ثم يتلون "الهِلّل الكبير" (مز ١١٥–١١٨ و١٣٦). في هذا القسم الأخير من الإحتفال تكون الذكرى قد استُعيدت، فيتمنّى المشتركون لبعضهم البعض: "**لِشَنَة هَبَّاة بِيرُوشَلَيِم**، (لِشَنَهْ هَبّاهْ بِيرُوشَلَيِم)، **"**السّنةُ القادمة في أورشليم"، إذا كانوا خارج إسرائيل، أمّا الذين هم في إسرائيل فيقولون: "**لِشَنَة هَبَّاة بِيرُوشَلَيِم هَبْنُويَة**، (لِشَنَهْ هَبّاهْ بِيرُوشَلَيِم هَبْنُويَهْ) ، "السّنةُ القادمة في أورشليم المَبنيّة". يتّكئون على الجِهَةِ اليُسرى ويجرعون من الكأس أكبر جرعة.	
		إنتهت رتبة الفصح كما يجب بحسب أحكامه وتشريعاته. فكما حَظِينا أن نرتّبُهُ،

[٥٥] ما هو كأس البركة؟ ولماذا؟ أثناء مسيرة شعب إسرائيل في الصّحراء، كان الله يقيتهم بالمنّ، لذلك علّمهم موسى أن يتلوا هذه البركة كفعل شكر لله على الغذاء الذي يوفّره لهم. تُتلى هذه البركة في ختام كلّ مأدُبة. وعندما دخل العبرانيّون أرض الميعاد بقيادة يشوع بن نون، أضاف هذا الأخير على البركة السابقة موضوع الأرض التي أورثها الله لشعبه. ثمّ زيدت البركة الثالثة التي تركّز على أورشليم والهيكل، وهي من أيّام داود الذي بنى المدينة المقدّسة، ومن أيّام ابنه سليمان الذي بنى الهيكل المقدّس؛ والعبارات المتعلّقة بإعادة بناء أورشليم أُضيفَت على النصّ، بعد دمار هذه المدينة وهيكلها على يد الرومان سنة ٧٠ ب. م.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final f.indd 546 1/30/17 8:02 PM

١٤– التّمنّي (נִרְצָה، نِرْتصَهْ)		كذلك نحظى أن نحتفل به. نقيٌّ هو ساكن السماء، يستنهض جماعة "مَنْ أَحصَى" ودَبِّرْ ذُرِّيّتَكَ المفتَدَاةَ إلى صهيون بترنيم.

المراجع

عقيقي إميل، **رواية الفصح**، جامعة الروح القدس – الكسليك، لبنان.

___، **الفصح اليهوديّ**، جامعة الروح القدس – الكسليك، لبنان.

معجم اللاهوت الكتابيّ.

Benoit Pierre, « Exegèse et Théologie » , I, Paris, Cerf, 1961.

Briend Jacques, *Le Pentateuque*, Cahiers Évangile, 15, 1976, Paris. Cahiers Évangile, 37 (Sept. 1981).

Dubois Jacques, *Le Seder de Pâque au temps de Jésus*, Paris, 1988.

Jaubert Annie, *La date de la Cène* , Paris, Gabalda, 1957.

Jeremias J., *La dernière Cène*, Lectio Divina 75, Cerf, 1972.

Le Déaut Roger, *La nuit pascale. Essai sur la signification de la Pâque juive à partir du Targum d'Exode XII 42* (Analecta Biblica, 22), Rome.

Meier John P., *A Marginal Jew. Rethinking the Historical Jesus. The Roots of the Problem and the Person*, Doubleday, New York, 1991.

Perrot Ch., *Jésus et l'histoire*, coll. Jésus et Jésus Crhist, Desclée, 1979.

___, « Le repas du Seigneur », *M.D.* 123 (1975) 29-46.

Samuel Dabora, *Passover in Judaism and in The New Testament*, Philadelphia, 2001.

Stapfer E., *La Palestine au temps de Jésus Christ*, Paris, 1885.

Wiener Claude, *Exode de Moïse, chemin d'aujourd'hui*, Paris, 1968.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final *f*.indd 547 1/30/17 8:02 PM